

يَقْظَرُ أَوْلِيَ الْعِتَابِ

بِمَا وَرَدَ فِي ذِكْرِ النَّارِ وَأَصْحَابِ النَّارِ

لِلْإِمَامِ الشَّيْخِ صَدِيقِ حَسَنِ خَانَ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ حَبِيبُ السَّقَا

الناشر

دار التراث الإسلامي

بالأزهد

فهرس

	الصفحة
تقديم	٣
مقدمة	١٩
بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها النار والجنة	٢٣
باب في وجود النار الآن	٣٥
باب في أن النار لا تفتنى ولا يفنى من فيها	٣٨
باب ذكر مكان النار وأين هي على مقتضى الآثار وكذا مكان الجنة	٤٣
باب في آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم	٤٧
باب في آيات كريمة وردت في صفة النار وأهلها	٦٤
باب ما جاء في أن النار لما خلقت فزعت منها الملائكة حتى طارت أفئدتها	٩٨
باب ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها	١٠٢
باب ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة	١٠٣
باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها	١٠٥
باب في صفة النار وفي شرار الناس منهم	١٠٦
باب في صفة أهل النار	١٠٨
باب في أول من يكسى من حلل النار	١١٠
باب في ما جاء في أكثر أهل النار	١١٠
باب ما جاء في أول ثلاثة يدخلون النار	١١٤
باب بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة	١١٤

- ١١٨ باب ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم
- ١١٩ باب ما جاء في أول جهنم وأنها أدراك ولمن هي
- ١٢١ باب ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة
- ١٢١ باب ما جاء في أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منها جزء مقسوم
- ١٢٣ باب في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض وما أعده الله فيها من العذاب
- ١٢٥ باب ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم وفي قمع النبي ﷺ وردها عن أهل الموقف
- ١٢٧ باب في كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها إلا من عنده جواز
- ١٢٧ باب ما جاء أن خزنة جهنم تسعة عشر
- ١٢٨ باب ما جاء في سعة جهنم وسرادقها
- ١٢٩ باب ما جاء أن الشمس والقمر يقذفان النار
- ١٣٠ باب ما جاء أن في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها
- ١٣٣ باب ما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها
- ١٣٦ باب ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذنان ولسان
- ١٣٨ باب ما جاء في أن مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم
- ١٤٠ باب ما جاء في أن كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها
- ١٤١ باب في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة
- ١٤٢ باب في نفس أهل النار
- ١٤٢ باب ما جاء في أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية
- ١٤٨ باب بيان قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) وفي ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين

- ١٥٠ باب ما جاء في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة)
- ١٥١ باب ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره .
وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال الأعضاء
- ١٥٤ باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذابة أهل النار بذلك
- ١٥٦ باب في عذاب من عذب الناس في الدنيا
- ١٥٧ باب في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأت به ونهى عن المنكر
وأثاه وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله وفي أن أعوان الظلمة.
كلاب النار

فصل

- ١٦٢ باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم
- ١٦٣ باب ما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم وإجاباتهم
- ١٦٨ باب في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها
- ١٧٠ باب لكل مسلم فداء من النار من الكفار

فصل

- ١٧٣ باب في قوله تعالى (وتقول هل من مزيد)
- ١٧٦ باب في ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة وفي.
تعيينه وتعيين قبيلته واسمه
- ١٧٨ باب ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل الذي ينادى.
يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار
- ١٨٣ باب تفاوت أهل النار في العذاب
- ١٨٤ باب في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى (فالיום الذين آمنوا.
من الكفار يضحكون) إلخ .

- ١٨٥ باب ما جاء في استنشاق رائحة الجنة والصرف منها إلى النار
- ١٨٦ باب ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار
- ١٨٦ باب ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن
يلبجه
- ١٩١ باب فيمن يستحق النار ، وكلام نفيس في حديث افتراق الأمة
- ٢٠٣ باب في سوء الخاتمة وأسبابه وبيان الخوف والرجاء
- ٢١٢ باب حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل
النار وأهل الجنة
- ٢١٩ باب من دخل النار من الموحدين ومات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة
- ٢٢١ باب في الشفعاء وذكر الجهنميين
- ٢٢٤ باب في الشافعين لمن دخل النار ... وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك
- ٢٣٨ باب خاتمة فيما يرجى من رحمة الله ومغفرته وعفوه يوم القيامة

* * *

رقم الإبداع بدار الكتب ١٦٤٨ لسنة ١٩٨١

دار الجيد للطباعة
جمهورية مصر العربية

١٩٠٥٢٩٦
تتميزون : ١٩٠٥٢٩٦

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب :

« بقظة أولى الاعتبار . مما ورد في ذكر النار ، وأصحاب النار » .

المؤلف :

هو الإمام العلامة الجليل الشيخ الشريف أبو الطيب : صديق بن حسن ابن علي البخاري القنوجي ، ولد في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف من الهجرة . ببلدة « بريلي » موطن جده القريب من جهة الأم ، ثم جاءت به أمه الكريمة من « بريلي » إلى « قنوج » موطن آبائه .

ولما بلغ السادسة من عمره . انتقل والده إلى جوار الله عز وجل فتكفلت به أمه ولما كبر تعلم اللغة الفارسية ، وأتقن نبذة من مسائلها . ونزل ببلدة « كانبور » وتعلم فيها « الفوائد الضيائية » و « مختصر المعاني » وغيرهما من كتب المعاني والبيان ، ثم رحل إلى مدينة « دلهي » في الهند لتحصيل العلوم . وتلمذ على الشيخ صدر الدين خان المفتي . ثم عاد من « دلهي » إلى « قنوج » وسافر منها إلى بلدة « بهوبال » وألقى بها عصا التسيار .

وصحب ببلدة « بهوبال » الشيخ حسين بن محسن العيني رحمه الله تعالى ، واشتغل بالدرس والتأليف . ومن تأليفه : تفسيره المسمى « فتح البيان في مقاصد القرآن » وكتاب « الروضة الندية في شرح الدرر البهية » و « حصول المأمول من علم الأصول » و « حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة »

و « يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار » وكتب غير ذلك ورسائل ، رحمه الله برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جنته . آمين ^(١) .

طبعت الكتاب :

ورد إلى مصر نسخ منه مطبوعة في الهند ، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم ألف وثلاثمائة وخمسة وخسين في رمز التصوف . وهذه النسخة المخطوطة طبعت في مصر في مطبعة الإمام .

عملنا في هذا الكتاب :

بالاطلاع على النسخة الهندية والنسخة المخطوطة والنسخة المصرية : وجدنا أخطاء لفظية في نصوص الآيات القرآنية ونصوص آيات التوراة والإنجيل . وأحياناً ينسب النص إلى سورة وليس هو فيها بل في سورة غيرها ، وأحياناً ينسب النص إلى إنجيل وليس هو فيه بل في إنجيل آخر . وكثيراً ما يذكر رقم الإصحاح ، مخالفاً للأرقام الموجودة . فصححنا النصوص . ونسبنا النص إلى موضعه الأصلي وذكرنا في التعليقات الأرقام الصحيحة للأصحاحات . مثال ذلك :

١ - « فغرس جناتاً في عيذا شرفياً وابقا ثم آدم الذي خلق » وصحته هكذا من التوراة العبرانية ترجمة البروتستانت سنة ١٩٧٠ م ^(٢) « وغرس الرب الإله : جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذي جبله » [تكوين ٢ : ٧] ^(٣) .

٢ - في المزمور الثامن والأربعين ما افظه : « جعلوا في الجحيم ... إلخ »

(١) ص ٣ - ٤ فتح البيان في مقاصد القرآن ج ١ نشر عبد المجيد علي محفوظ - مطبعة العاصمة بمصر سنة ١٩٦٥ م .

(٢) الكتاب المقدس .

(٣) ما قبل النقطتين رقم الأصحاح (الفصل) وما بعد النقطتين رقم الآية والشرطة تساوي إلى .

•
وصحته هكذا : في المزمور التاسع والأربعين مالفظه : « مثل الغنم للهاوية يساقون . الموت يرعاهم ... إلخ » .

٣- في الفصل التاسع من الأصحاح الأول : ومن قال ... إلخ . وصحته هكذا : في الأصحاح الخامس من الإنجيل الأول لإنجيل متى « ومن قال ... إلخ » .

٤- وفي الفصل الثامن والعشرين ولكن خافوا ... إلخ وصحته هكذا وفي الأصحاح العاشر من متى « بل خافوا ... إلخ » .

٥- وفي الفصل التاسع مالفظه : تذهب إلى جهنم . وقوله هكذا يرحى بأنه الفصل التاسع من إنجيل متى . وصحته : وفي الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس مالفظه : « وتمضى إلى جهنم ... إلخ » .

٦- وفي الفصل الثالث والسبعين مالفظه : إن الزنادقة الذين يقولون ليست قيامة . وصحته : وفي الأصحاح الثاني والعشرين من متى ما لفظه : « في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون . الذين يقولون ليس قيامة » .

٧- « العزيز الحكيم ، ومن تق السيآت ... إلخ » وصحة الآية « العزيز الحكيم . وقهم السيآت ، ومن تق السيآت ... إلخ » (غافر ٨ و ٩) وبالإضافة إلى هذا : كتبنا في هذا التقديم أصل الخلاف بين علماء بني إسرائيل في حقيقة البعث من الأموات . وهل هو للأجساد مع الأرواح أم للأرواح فقط ؟

هدف الكتاب :

هو تخويف الناس من النار ، حتى يبتعدوا عن السيآت .

الحكم على الكتاب :

هو مفيد في موضوعه . كما يقول الشيخ صديق « لأن الإيمان بين الخوف والرجا . والمرء بين الشدة والرخا ، والخوف يفعل في الخائف ما لا يفعل

الرجا في الراجي ، والخشية تميز تمييزاً كافياً وافياً بين الهالك والناجي . وأن دين الإسلام ورد بالمهلكات كما جاء بالمنجيات . وأن النبي ﷺ رغب وحذر وبشر وأندر « ولو أن الشيخ صديق اقتصر على ذكر الآيات القرآنية التي وردت في النار وأهوالها . لكان قد جنب نفسه ما قبل فيه : إنه قد أتى بأحاديث غير صحيحة النسبة إلى رسول الله ﷺ . قد وضعها الواضعون لترهيب الناس من النار .

إننا قد علقنا على ما ذكره في المقدمة في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار ، وتركنا التعليق على الباقي . لماذا ؟ لأنه فوق ما قدمنا قد ذكر وجهات نظر علماء الكلام ، والحكماء وغيرهم ، واختار رأياً . ووجهات نظر هؤلاء العلماء مبسطة في الكتب ومعروفة على النحو الذي ذكره المؤلف . وعلى من يخالف رأيه أن يرجع إلى الرأي الذي ارتضاه من آراء هؤلاء العلماء وينظره في كتبهم ثم يتأمل فيه . إما أن يقبل وإما أن يرفض .

تحقيق أصل الخلاف بين علماء بنى إسرائيل في حقيقة البعث عن الاموات :
لاحظ أولاً :

أن موسى عليه السلام سلم التوراة التي أنزلها الله عليه إلى بنى إسرائيل ، وكان موسى نحو سنة ١٥٧١ ق . م وفي مدينة بابل بالعراق من بعد سنة ٥٨٦ ق . م غير علماء بنى إسرائيل نصوصاً من التوراة التي أنزلها الله على موسى ، ومن هذه النصوص التي غيرها : النص على يوم القيامة .

ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التي كتبها لهم عزرا (عزير) في بابل . اختلفوا على عاصمة الدولة : أورشليم أم شكيم ؟ واختلفوا على الجبل المقدس : صهيون أم جرزيم ؟ ولما لم يتفقوا . انقسموا إلى فريقين : السامريين في شكيم ويقدمون جرزيم ويتجهون إليه في الصلاة . والعبرانيين في أورشليم ويقدمون صهيون ويتجهون إليه في الصلاة . وبعد هذه الملاحظة

نقول : قد وجدنا التوراة التي بأيدي السامريين تختلف في بعض الآيات عن التوراة التي بأيدي العبرانيين .

ومن الآيات المختلف فيها : النص عن يوم القيامة . فهو في التوراة السامرية صريح للغاية وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين : إما الجزء في الدنيا وإما الجزء في الآخرة .

وهذا النص في العبرانية هكذا على لسان الله تعالى : « أليس ذلك مكتوباً دندى ، مخمواً عليه في خزائي ؟ لي النعمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم » [تثنية ٣٢ : ٣٤ - ٣٥] .

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري الدنقي عن هذا الخلاف « مانحن مختلفون فيه الفصل الذي هو أحق بالميعاد وهو قوله عندنا : « ذكر نصاً عبرانياً سامرياً » وعندهم « ذكر أبو الحسن نصاً عبرانياً سامرياً » وبين قوله : « لي انتقام ومكافأة ؛ وبين قوله : « إن أعمالهم عندي مذخورة في خزائي إلى يوم الانتقام . يوم عظيم . وفرق كبير . لأنه بمقتضى نصهم يجوز أن ينتقم الساعة وغداً . وما قبل وما بعد ويجوز أن يكون ذلك في الدنيا ، ويجوز أن يكون في الآخرة » (٤) .

هذا بالنسبة لتوراة موسى أما بالنسبة للتوراة المسماة « أسفار الأنبياء » فلإننا نذكر منها ما يلي :

(أ) في سفر أيوب يقول أيوب عليه السلام : «أما أنا فقد علمت أن ولي

(٤) ص ٩٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء . طبع بألمانيا بتعليقات المسير دلمار ، هذا وقد استشهد بهاتين الآيتين القديس بولس فقال في الرسالة إلى أهل رومية : « لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء ، بل أعطوا مكاناً للغضب . لأنه مكتوب : لي النعمة/أنا أجازي يقول الرب » [رو ١٢ : ١٩] وقال في الرسالة إلى العبرانيين : « فإننا نعرف الذي قال لي الانتقام . أنا أجازي يقول الرب . وأيضا يدين شعبه » [عب ١٠ : ٣٠] .

حي والآخر على الأرض يقوم وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون
جسدى أرى الله . الذى أراه أنا لنفسى وعيناي تنظران وليس
آخر «[أيوب ١٩ : ٢٥ - ٢٧] ترجمة بروتستنت سنة ١٩٧٠م ،
في هذه الترجمة يثبت البعث بالأرواح وليس بالأجساد وفي ترجمة
الكاثوليك سنة ١٩٦٨ م هكذا: «وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء
بجلدى . ومن جسدى أعين الله » وفي هذه الترجمة يثبت البعث
بالأرواح والأجساد معاً وكذلك في الترجمة الإنجليزية : «حتى وإن
كانت ديدان جلدى تفنى هذا الجسد فإننى فى جسدى أرى الله » .

وجاءت فى كلام عيسى المسيح عليه السلام هكذا : «أعلم أن
لهى حى وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وسأرى بعينى الله
مخلصى » [برنابا ١٧٣ : ١٠] .

(ب) وفى سفر دانيال هكذا : «أما أنت فاذهب إلى النهاية فستريح
وتقوم لقرعتك فى نهاية الأيام » [دانيال ١٢ : ١٣] .

(ج) وفى سفر المكابيين الثانى : «وكان يهوذا النبيل يعظ القوم أن ينزهوا
أنفسهم عن الخطيئة إذ رأوا بعيونهم ما أصاب الذين سقطوا لأجل
الخطيئة ثم جمع من كل واحد تقدة [صدقة] فبلغ المجموع ألفى
درهم من الفضة فأرسلها إلى أورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة
وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه لاعتقاده قيامة الموتى لأنه لو
لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا لكانت صلواته من أجل الموتى
باطلا وعبثاً ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد ادخر لهم ثواب
جميل » ١ . هـ [المكابيين الثانى ١٢ : ٤٢ - ٤٥] .

(د) وفى الأصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال (ذو الكفل)
ما يؤكد حقيقة بعث الأموات .

٣- وأما في الإنجيل فواضح من الأناجيل كلها تصريح المسيح عيسى عليه السلام بالبعث، ففي إنجيل مرقس يقول المسيح: «وأما من جهة الأموات أنهم يقومون أفا قرآتم في كتاب موسى في أمر العليقة كيف كلمه الله قائلاً: أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب؟ ليس هو إله أموات بل إله أحياء فأنتم إذا تضلون كثيراً» [مرقس ١٢ : ٢٦ - ٢٧] يريد أن يقول إن الله تعالى نادى على موسى في طور سيناء وهو ذاهب ليرى ناراً، وقال له كما جاء في التوراة: «أنا إله أبيك: إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» [خروج ٣ : ٦] ولما كان الله حياً فإذا إبراهيم وإسحق ويعقوب أحياء عنده برزقون ولو كانوا أمواتاً ما تحدث عنهم.

وفي سفر الأعمال . فغاية «الناموس والأنبياء» . . . أنه سوف تكون قيامة للأموات : الأبرار والأئمة» [أع ٢٤ : ١٤ - ١٥] .

وفي إنجيل برنابا سأل بطرس المسيح هذا السؤال: (أيذهب جسدنا الذي لنا الآن إلى الجنة؟) فأجاب المسيح بما نصه :

«أجاب يسوع : احذر يا بطرس من أن تصير صدوقياً فإن الصدوقيون يقولون :

إن الجسد لا يقوم أيضاً وإنه لا توجد ملائكة^(٥) لذلك حرم على جسدهم وروحهم الدخول في الجنة وهم محرومون من كل خدمة الملائكة في هذا العالم. أنسيم أيوب النبي وخليل الله كيف يقول : «أعلم أن إلهي حي وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلصي» .

ولكن صدقوني أن جسدنا هذا يتطهر على كيفية لا يكون له معها خاصة

(٥) في سفر أعمال الرسل هكذا «لأن الصدوقيين» يقولون : أن ليس قيامة ولا ملاك ولا أرواح» [أعمال ٢٣ : ٨] .

واحدة من خصائصه الخاضرة لأنه سيتطهر من كل شهوة شريرة ، وسيعيده الله إلى الحال التي كان عليها آدم قبل أن أخطأ .

رجلان يخدمان سيدياً واحداً في عمل واحد أحدهما يقتصر على النظر في العمل وإصدار الأوامر . والثاني يقوم بكل ما يأمره به الأول ، أقول : آترون من العدل أن يخص السيد بالجزاء من ينظر ويأمر فقط . ويطرد من بيته من أنهك نفسه في العمل ؟ لا البتة .

فكيف يحتمل عدل الله هذا ؟ إن نفس الإنسان وجسده وحسه تخدم الله فالنفس تنظر وتأمّر بالخدمة فقط لأن النفس لما كانت لا تأكل خبزاً فهي لا تصوم ولا تشعر بالبرد أو الحر ولا تمرض ولا تقتل لأنها خالدة وهي لا تتكاثر شيئاً من الآلام الجسدية التي كان يتكاثرها الجسد بفعل العناصر أقول : هل من العدل أن تذهب النفس وحدها إلى الجنة دون الجسد الذي أنهك نفسه بهذا المقدار في خدمة الله ؟

قال بطرس : يا معلم لما كان الجسد هو الذي حمل النفس على الخطيئة فلا ينبغي أن يوضع في الجنة . أجاب يسوع : كيف يخطئ الجسد بدون النفس ؟ حقاً إن هذا محال فإذا نزع رحمة الله من الجسد قضيت على النفس بالجحيم . لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته : إن الله يعد الخاطيء برحمته قائلاً : أقسم بنفسى أن الساعة التي يندب فيها الخاطيء خطيئته هي التي أنسى فيها إثمه إلى الأبد^(٦) « فأى شيء يأكل إذا أطعمته الجنة . إذا كان الجسد لا يذهب إلى هناك ؟ هل النفس ؟ لا البتة لأنها روح .

(٦) لاحظ أن المسيح يستدل على صحة أقواله من التوراة العبرانية لقد استدل أولاً من سفر أيوب وهو يستدل ثانياً من سفر حزقيال والنص هكذا في حزقيال « فإذا رجعت الشرير عن جميع خطايا التي فعلها وحفظ كل فرائض وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا . لا يموت . كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه . في بره الذي عمل يحيا » [حزقيال ١٨ : ٢١ - ٢٢] .

أجاب بطرس : أياكل إذا المباركون في الفردوس ؟ ولكن كيف يبرز الطعام دون نجاسة ؟

أجاب يسوع : أى بركة ينالها الجسم إذا لم يأكل ولم يشرب ؟ من المؤكد أنه من اللائق أن يكون التمجيد بالنسبة إلى الشيء الممجد . ولكنك تخطئ يا بطرس في ظنك أن طعاماً كهذا يبرز نجاسة . لأن هذا الجسم في الوقت الحاضر يأكل أطعمة قابلة للفساد ولهذا يحصل الفساد . ولكن الجسم يكون في الجنة غير قابل للفساد . وغير قابل للألم وخالداً وخالياً من كل شقاء . والأطعمة التي لا عيب فيها لا تحدث أدنى فساد . هكذا يقول الله على لسان أشعيا^(٧) النبي ساكباً ازدرء على المنبوذين « مجلس خدى على مائدتى في بيتى . ويتلذذون بابتهاج مع جبور ومع صوت الأعراد والأراغن ولا أدعهم يحتاجون شيئاً ما . أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجاً عنى . حيث تموتون في الشقاء . وكل خادم لى يمتنكم » .

ثم بين برنابا أن المسيح شرح لتلاميذه معنى قول الله تعالى (يتلذذون) فقال : « قال يسوع لتلاميذه : ماذا يجدى نفعاً قوله يتلذذون ؟ حقاً إن الله يتكلم جلياً . ولكن ما فائدة الأنهر الأربعة من السائل الثمين في الجنة مع ثمار وافرة جداً ؟ فن المؤكد أن الله لا يأكل ، والملائكة لا تأكل ، والنفس لا تأكل ، والحس لا يأكل ، بل الجسد الذى هو جسمنا . فوجد الجنة هو طعام الجسد . أما النفس والحس فلهما الله ومحادثه الملائكة والأرواح المباركة وأما ذلك الجسد فسيوضحه بأجلى بيان رسول الله^(٨) الذى هو أدرى بالأشياء من كل مخلوق لأن الله قد خلق كل شيء حباً فيه .

(٧) في سفر أشعيا هكذا « قال السيد الرب : هو ذا عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون هم ذا عبيدى يشربون وأنتم تعطشون هو ذا عبيدى يفرحون وأنتم تحزنون ، هو ذا عبيدى يترنمون من طيبة القلب . . . الخ [أشعيا ٦٥ : ١٣ - ١٤] .

(٨) يقصد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال برتولوماوس : يامعلم أياكون بجد الجنة لكل واحد على السواء ؟
فإذا كان على السواء فهو ليس من العدل . وإذا لم يكن على السواء فالأصغر
يحسد الأعظم .

أجاب يسوع : لا يكون على السواء لأن الله عادل ؟ وسيكون كل واحد
قنوعاً إذ لاحسد هناك . قل لى يا برتولوماوس : يوجد سيد عنده كثيرون
من الخدمة ويلبس جميع خدمه هؤلاء لباساً واحداً يحزن إذا الغلمان اللابسون
لباس الغلمان لأنه ليس لهم ثياب البالغين ؟ بل بالعكس لو أراد البالغون أن
يلبسوهم ثيابهم الكبيرة لتغيظوا لأنه لما لم تكن الأثواب موافقة لحجمهم
يزعمون أنهم : سخريه . فارفع إذا يا برتولوماوس قلبك لله فى الجنة فترى
أن الجميع مجداً واحداً ، ومع أنه يكون كثيراً لواحد وقليلًا للآخر فهو
لايولد شيئاً من الحسد [برنابا ١٧٣ : ٧ إلى آخر ١٧٦] .

* * *

والرَبانِيون والأحبار من السامريين والعبرانيين قد اعترف كثير منهم
بيوم القيامة . ومن هؤلاء :

١ - المؤرخ السامرى الذى لم يسلم أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى الدنى
ألف تاريخه المسمى « التاريخ مما تقدم عن الآباء » سنة ست وخمسين وسبع مائة
من الهجرة وقال فى مقدمته :

« رزقنا الله المات على حفظه ، وحب هذا النبى العظيم - موسى -
وحشرنا فى زمرة ، ولا جعلنا من المبعودين فى هذه الدار من أمته ، المحرومين
فى الآخرة من شفاعته . . . إلخ » ويقول عن يهوشع بن نون فى موسى
لأنه سلم نسخة من توراة موسى عليه السلام إلى نبيح بن حفر بن جلعاد بن ماكير

ابن منشه بن يوسف عليه السلام « وأمره بالقراءة فيها ليلاً ونهاراً وعرفه أن فيها أسراراً عجيبة ومصالح في العاجلة والآجلة » .

٢- وابن كهونة : سعد بن منصور البغدادي الإسرائيلي المتوفى سنة ثلاث وثمانين وست ومائة من الهجرة في مدينة الحلة ببغداد يقول :

« يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنه النبي الحقيقي : أن يعرف الناس أن لهم صانعاً واحداً حياً قادراً لا شريك له في ملكه ولا شبيه ولا نظير . عالماً بالسر والعلانية ، لا يعزب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض ، وأن من حقه أن يطاع ، وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه ، والشقاوة لمن عصاه ، وأن يقرر عندهم أمر الميعاد الأخرى . وأن هناك من اللذة الأبدية ما هو ملك عظيم ومن الألم ما هو عذاب مقيم^(٩) » أ . ه .

٣- وفي كتاب « التلمود » اعترافات صريحة من الربانيين والأخبار بالبعث فنص المشنة الخامسة هكذا : « قال يوسى بن يوحانان . ليكن بيتك مفتوحاً على الرحب والسعة ولتكن الفقراء كبنى بيتك ، ولا تكثر الحديث مع المرأة . وخصوصاً امرأة قريبك . وقد استند الأئمة على هذا الكلام فقالوا : كل من أطال الكلام مع المرأة يسبب الضرر لنفسه ويلتصق بالناموس وآخرته ميراث جهنم » .

وفي شرح المشنة السادسة مانصه : « كان في الأمة الإسرائيلية حزبان حزب الصادوقيين الذين كانوا لا يؤمنون بالبعث وخلود النفس ولا يعتبرون سوى أسفار موسى الخمسة وحزب الكتبة الذين كانوا يؤمنون بما يؤمن به اليهود إلى يومنا هذا » أى بأسفار الأنبياء وبالبعث وخلود النفس .

(٩) ص ١٤ - ١٥ تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث - طبع جامعة كاليفورنيا بعناية :

ونص المشنة الأولى من الفصل الثاني هكذا : قال ربي يهودا هناسي :
 « ما هي الطريق القويمة التي يجدر بالإنسان اختيارها ؟ هي تلك التي تمجد
 سالكها وترفع مقامه بين الناس . احرص على الفرض الخفيف حرصك على
 الفرض الثقيل . لأنك لا تعلم قيمة أجر الفروض . واحسب خسارة الفرض .
 بجانب أجره . وملذة المعصية بجانب قصاصها . تأمل في ثلاث أمور فلا تصل
 إلى سبيل المعصية . أعلم ما فوقك : عين ترى ، وأذن تسمع : وكل أعمالك
 محصية في سفر » .

ويقول المفسر لهذه المشنة مانصه : « هي تلك التي تمجد سالكها :
 قصد هنا المجد السماوي ، والأجر العتيق الذي وعد به أئمة التلمود لمن عمل
 صالحاً وسلك بحسب فروض الناموس لأن التوراة لم تفصح عن الميعاد إفصاح
 التلموديين خصوصاً بعد عودتهم من سبي بابل » .

ويقول في تفسير العبارة : « كل أعمالك محصية في سفره » ، ما نصه :
 « قد جسم بعضهم هذا الفكر لدرجة أنه قال : إن روح الإنسان تصعد في كل
 مساء أمام عرش الديان فتكتب يمينها ما تكون قد اقرت أو أحسنت في
 يومها ، وتغالي بعضهم فقال : إن كل معصية يرتكبها الإنسان في دنياه توجد
 شيطاناً يصعد أمام كرسي الديان ويهتف دائماً « أنا خلقت من معصية فلان
 ابن فلان الذي ارتكبها في اليوم القلاني » .

ويتعلق الدكتور شمعون على هذا التفسير بقوله : « كلها أقوال يعذر
 قائلوها لأنهم إنما كانوا يخاطبون أبناء ذلك العهد البعيد المعاصرين لهم . وكلنا
 يعلم ما كان عليه بنو الإنسان في تلك الأزمان النائية من خشونة الطباع » .

ونص المشنة الأولى من كتاب الزهر هكذا : قال ربي عقايا بن مها لاثيل

« تأمل في ثلاثة أمور فلا تقع في الخطيئة : من أين نشأت ؟ إلى أين تصير ؟ أما من أنت مزعم أن تؤدي الحساب على أعمالك ؟ أما منشأك فنظفة ننته . وأما مصيرك فترب ورمة ودودة . وأما مجاسبتك فستكون أمام ملك الملوك الأقداس . مبارك هو » (١٠) .

ومن النصوص التي ذكرناها يتضح تمام الوضوح : اعتراف أهل الكتاب يبعث الناس من القبور إلى الحياة الآخرة . وكذلك يعترف المسلمون . فقد جاء في القرآن الكريم : (مالك يوم الدين) .

لكن . هل يبعث الله الإنسان من الموت للحساب بجسده وروحه على هيئته التي كان عليها في الدنيا؟ أم يبعث روحه فقط ويكون حسابه ونعيمه أو عذابه لروحه وليس لجسده كما تكون الأحلام ؟ يقول كثيرون من المسلمين وأهل الكتاب بأن البعث للجسد والروح . ويقول النصارى : إن البعث للروح فقط كما تكون الأحلام ، ومثل قولهم يقول بعض فلاسفة المسلمين وأهل الكتاب .

ويستند النصارى على قولهم بالبعث الروحاني : على إجابة المسيح عن سؤال الصدوقين للمسيح عن المرأة التي يكون لها سبعة أزواج . في يوم القيامة تكون لمن السبعة ؟ كما سنيين في التعليقات . ويقول بعض فلاسفة المسلمين : إن ماورد في القرآن عن النعيم والعذاب ورد على سبيل التمثيل وليس على سبيل الحقيقة كما يقول تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون ... إلخ) وعلى ذلك فالبعث للأرواح وليس للأجساد .

واختلف المسلمون أيضاً في جسد الإنسان الذي سيبعث . هل جسد الإنسان نفسه هو الذي سيكون يوم القيامة ؟ أم سيبعث الإنسان بجسد جديد ؟

(١٠) انظر « التلمود » أصله ، وتسلسله ، وآدابه » - الدكتور شمعون يوسف مويال - مطبعة العرب بمصر سنة ١٩٠٩ م تساوى سنة ٥٧٦٩ من آدم عليه السلام .

والحقيقة التي لامراء فيها : أن البعث من القبور إلى الحياة الآخرة سيكون للجسد والروح معاً . لما هو واضح من قوله تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) ولما هو واضح من الأدلة التي أوردتها العالم الجليل مؤلف هذا الكتاب . ونفس الجسد الذي كانت فيه الروح في الدنيا هو نفس الجسد الذي سيكون محلاً للنعيم أو العذاب : [انظر في هذا الموضوع . كتب الإمام الغزالي والفيلسوف ابن رشد] .

وأخيراً نقول :

هذا ما وفقنا الله تعالى إليه . ونسأله تعالى الهداية والتوفيق .

(ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة . إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد) .

د. أحمد حجازي السقا

يقظة اولى الاعتبار

مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما منح من الهدى ، وجعل السنة المطهرة قدوة لمن يقتدى ،
الذى خلق فأحيا ، وحكم على خلقه بالموت والفناء ، والبعث إلى دار الجزاء
والفصل والقضا ، لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال في كتابه جل وعلا :
(لأنه من يأتي ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأتيه مؤمناً قد
عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها
الأنهار يخالدون فيها وذلك جزاء من تزكى) والصلاة والسلام على خير من
أفيضت عليه بحار المكارم والندى ، ولاحت عليه لوائح الصدق والصفاء ،
واهتدى بما أنزل عليه من ربه وإليه أمته هدى ، وأنقذها من شرك الردى ،
ولم يتركها سدى ، فن أطاعه ووالاه فقد رشد ونجا ، ومن عصاه وناوأه فقد
ضل وغوى ، وعلى آله وصحبه وحزبه صلاة وسلاماً دائماً على طول المدى .

وبعد : فهذا كتاب في أحوال النار وأصحابها ، وأهوال الجحيم وأربابها
نسجته على منوال كتابي في أحوال الجنة وأهاليها وحقائق نعمها ومواليها ،
والباعث على جمعه أن الحافظ الإمام ناصر السنة والإسلام محمد بن أبي بكر
ابن القيم بوأه الله في دار السلام ، ألف كتاباً جامعاً لم يسبق إليه في ماجاء في
نعيم الجنان ومدارج الرضوان والغفران ، وهو باب من أبواب الترغيب ،
وقد سبقت رحمة الله سبحانه وتعالى على غضبه كما ورد ذلك في صحاح
الأحاديث ، ولم أقف له ولا لغيره على كتاب مستقل في ذكر النار ، وأهوال
الجحيم وما يقابل الراحة والعيش الآخر في دار النعيم . وهذا باب من أبواب
الترهيب ، وحاجة المسلم إليه أشد من الحاجة إلى الأول ، لأن الإيمان بين
الخوف والرجا ، والمرء بين الشدة والرخا ، والخوف يفعل في الخائف .

ملا يفعل الرجا في الراجي ، والحشية تميز تمييزاً كافياً وافياً بين المهالك والناجي ، وأن دين الإسلام ورد بالمهلكات كما جاء بالمنجيات ، وأن النبي ﷺ رغب وحذر وبشر وأندر ، فهو الخبر الصادق بكلا الأمرين إخباراً لا يخفى على ذي عينين ، ولكن الشيطان الرجيم غرهم بالغفران والإحسان ، وكادتهم النفس الأمارة بالسوء ووعدهم بالرضوان والجنان ، ودخل عليهم إبليس من باب الرجا حتى أضلهم عن طريق الهدى ، فقالوا سيغفر لنا كما قال من قبلهم من الأمم ، ولم يعلموا أن بطش ربهم لشديد الألم ، وأن الدار الآخرة منقسمة إلى قسمين : رياض الجنة وحفر النار ، والعبد بين مخافتين إما أن يصير إلى النعيم بفضل سبحاته ، وإما أن يصر به عدلا منه إلى دار البوار ، وكل من قنع بالرجا ولم يلم بالخوف ، لم يعلم بعاقبة أمره ، ولم يعرف نفعه من ضره ، وإنما المؤمن الناجي من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، وأقلع نفسه في هذه الدار عما يوبقه ويهلكه عذباً كان أو مالها .

وفي حديث شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » قال في مجالس الأبرار ؛ هذا الحديث من حسان المصاييح . انتهى : وما أحسن ما قال بعض العارفين .

عجبت من شيخى ومن زهده وذكره النارَ وأهوالها
بكره أن يشرب في فضة ويسرق الفضة إن نالها

ووعده المغفرة في كتاب الله منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعاً ، فمن أقر بلسانه أن الآخرة خير وأبى ، ثم ترك العمل واشتغل بالمعاصي فهو من المغرورين بالدنيا والمسرورين بها والمحبين لها ، والكارهين للموت خيفة فوات لذتها لا خيفة فوات لذات الآخرة : وحول عقابها ، فهؤلاء هم الذين غرتهم الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

وأما الذين غرهم بالله الغرور ، فهم الذين يعملون الأعمال ويشغلون بالمنكرات ويقولون إن الله رحيم ، نرجو رحمته ، وكريم نتمنى مغفرته ، وهذا التمنى هو الغرور الذى غير الشيطان اسمه وسماه رجاء حتى خدع به كثيراً من الناس ، وقد شرح الله الرجاء بقوله : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) وقيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيات . هيات ، هلكت أمانهم يتردون فيها : من رجاً شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه ، وكما لا ينبت فى الدنيا زرع إلا بالحرث كذلك لا يحصل فى الآخرة أجر وثواب إلا بالإيمان الخالص والعمل الصالح والنية الصادقة ، وأن الله تعالى كما كان غافر الذنوب وقابل التوبة فهو شديد العقاب أيضاً . وأنه مع كونه كريماً رحيماً خلد الكفار فى النار أبداً الأبد ، مع أن كفرهم لا يضره بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على عباده فى الدنيا مع كونه كريماً قادراً على إزالتها .

فمن كانت سنته فى عباده كذلك كيف يغتر به العبد ولا يخافه ، وقد خوف عباده .

ورجاء أكثر الخلق فى هذا الزمان هو سبب فتورهم عن العمل وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله تعالى وإهمالهم للسعى للآخرة ، وهم لا يعلمون أنه غرور وليس برجاء ، وقد غلب الغرور على آخر هذه الأمة كما غلب الطاعة على أولها .

قال الغزالي : قد كان الناس فى الزمان الأول يواظبون على الطاعات والعبادات ، ويبالغون فى الاحتراز عن الشهوات والشهوات ، ومع ذلك كانوا يخافون على أنفسهم ويكونون فى الخلووات ، وأما الآن فرى الخلق آمنين فرحين غير خائفين مع إصرارهم على المعاصى وانهم كهم فى الدنيا وإعراضهم

عن طاعة الله ، ويزعمون أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله ، وراجون لعفوه ومغفرته ، ويقولون نعمته واسعة ورحمته شاملة . وأى شيء من معاصي العباد في بحار مغفرته ؟ ويسمون تمنيمهم واختارهم رجاء ويقولون إن الرجا محمود في الدين ، فكأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الأنبياء والسلف الصالح . انتهى .

هذا وكان يخطر في خلدي قديماً منذ ألفت كتاب « مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام » أن أولف كتاباً في أهوال النار وأهلها وصفة الجحيم حزنها وسهلها ، مقتصراً في ذلك على ما ورد في آيات الكتاب العزيز وأدلة السنة المطهرة البيضاء . فلم يتفق لي هذا المراد لعوائق عاقتني وضائق بها على الغبراء ؛ إلى أن حصل الآن فرصة نذرة فانتدبت لتحرير هذا المرام ظناً مني أنه لم يسبق إلى مثل هذا التأليف قبلي أحد من الأعلام ، ولو كنت وقفت على مثل هذا الجمع لأحد منهم لم أكلف نفسي لجمع هذا الكتاب الموعود ، ولم أدخل في هذه العقبة الكثود ، ولكن الله يوفق بما شاء من عباده ، وله في أيام دهرهم نفحات ألا فليعرضوا لها في بلاده . وسميت هذا « يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار » . ورتبته على مقدمة وأبواب وخاتمة . أجازنا الله تعالى عن النار الحاطمة .

مقدمة

في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة
التي فيها الجنة والنار

اعلم أن الله سبحانه صرح باسم الجنة في أول التوراة عند الكلام على
ابتداء خلق العالم . ولفظها « وغرس الإله جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك
آدم الذي خلقه (١١) » ا . ه .

ثم ذكر أن منها خرج نهر . وتفرع عنه : فيثون وحداقل وجيحون
والفرات (١٢) .

فهذه هي الجنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (١٣) . وصح عن النبي
ﷺ أن هذه الأربعة الأنهار خارجة منها ، كما في دواوين الإسلام وغيرها .
واعترف بها رأس زنادقة اليهود : موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي في
تأليفه ، المسمى « المشناه » في الفقه (١٤) . وفي كتاب اللغات في حرف العين

(١١) الآية السابعة من الأصحاح الثاني من سفر التكوين .

عبر (١٢) الآية العاشرة وما بعدها من الأصحاح الثاني من سفر التكوين .

(١٣) (وقلنا يا آدم : اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) [البقرة ٣٥] .

(١٤) كتاب موثى بن ميمون المشار إليه « يد حزاقاء » وتفسيره « اليد القوية » وقد أطلق
عليه اسم « المشناه » لشبهه بالمشناه الموجودة في التلمود . ومعنى « المشناه » المتن ويقابله « الجمارا »
أي التفسير المتن .

قال : ومعنى اسم عدن : التلذذ والتنعم^(١٥) . ثم قال : إن تلك هي جنات النعيم ، وفردوس السعادة ، والصالحون باقون فيها ليستلذوا من نور الله . قال النبي أشعياء في حقيقة ذلك التلذذ « هو ما لا عين تقدر أن تراه »^(١٦) . ا . هـ .

والتوراة أيضاً صرحت باسم النار ، ولفظها « سول واش » قال علماء

(١٥) في تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنس دافدن الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ في بيروت تحت كلمة « عدن » : « عدن : هذه الكلمة تعني « سرور » أما الجنة ومعناها « الفردوس » وهي اسم فارسي لمكان مسر كهذا . لذا فإنها قد استعملت للإشارة إلى جنة عدن » وفي التفسير المذكور عن مكان الجنة : « لا يمكن تحديد مكان هذه الجنة بالضبط » ولا أدري آخذوا هذا الرأي من المعزلة يرحمهم الله تعالى ويجزل لهم الأجر والثواب أم أخذه المعزلة عن أسلافهم ؟ يقول المعزلة : « إن آدم هبط من بستان على ربوة من الأرض » ويقول أهل السنة إن الجنات سبع « أعلاها وأفضلها الفردوس وفوقها عرش الرحمن ومنها تنفجر أنهار الجنة فجنة المأوى فجنة الخلد فجنة النعيم فجنة عدن فدار السلام فدار الحلال » . هذا ما ذهب إليه ابن عباس وجماعة وذهب الجمهور إلى أنها أربع بدليل ما في سورة الرحمن وقيل الجنة واحدة وما تقدم أسماء لمسى واحد إذ كل اسم صالح لها . والجنة والنار موجودتان الآن . والجنة هي التي أهبط منها آدم عليه السلام خلافاً للمعزلة الداهيين إلى أنهما سيوحدان في الآخرة . . . الخ » [انظر شرح الخريدة للدردير ص ٥٦ - طبعة صبيح للأزهر] .

(١٦) هذا النص استشهد به القديس بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس في الآية التاسعة من الأصحاح الثاني ونص استشهاده هكذا : « بل كما هو مكتوب : ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه » يشير بما هو مكتوب إلى المكتوب في سفر أشعياء في الأصحاح الرابع والستين الآية الرابعة أو إلى المكتوب في سفر أشعياء في الأصحاح الخامس والستين الآية السابعة عشرة . والشيخ صديق قال : قال النبي أشعياء في حقيقة ذلك التلذذ « هو ما لا عين تقدر تراه » ولم يوضح رقم الأصحاح وعلى أية حال يقول مفسرو النصارى في تفسير كلام بولس في كورنثوس الأولى ٢ : ٩ ما نصه : « وهذا الاقتباس يعيد للذكرى آيتين في أشعياء [٦٤ : ٤ و ٦٥ : ١٧] ولكن الظاهر أنه غير مستمد منهما وهو وارد في رسالتى أكليمندس الروماني الأولى والثانية وفي كتابات الفناطسة في القرن الثاني وفي كتابين من كتب الصلاة في اليهود الأولى . وما يزال المصدر الذي أخذ عنه هذا الاقتباس مشككاً لم تحل حتى الآن ، وصياغته المنظومة تدل على أنه ربما نقل عن ترنيمة مسيحية في عصر مبكر » [انظر تفسير رسالة كورنثوس الأولى تأليف الدكتور براون . نقله إلى العربية حبيب سعيد - صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية - بولاق - مصر] .

اليهود ، ومعنى اللفظين جهنم . وفيها غير ذلك من الآيات كثير ، كما في الأصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين [الأحبار] ولفظه : « أحكامى تعلمون ، وفرائضى تحفظون . لتسلكوا فيها ، أنا الرب إلهكم ، فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها . أنا الرب (١٧) » ا . هـ . ولا حياة دائمة فى الدنيا بل فى الآخرة ، وفى الأصحاح (الفصل) الخامس من سفر الأمثال لسليمان عليه السلام « ويجعلهم بعد الموت إلى الجحيم (١٨) » ا . هـ . وفى الأصحاح السادس والعشرين من نبوة أشعيا ما لفظه : « نجيا أمواتك : تقوم الجثث (١٩) » ا . هـ . وفى سفر دانيال ما لفظه : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار ، والازدراء الأبدى (٢٠) » ا . هـ .

وأما الزبور (٢١) ففيه نصوص كثيرة ، فى التصريح بذكر النار ، جاء فى المزمور التاسع والأربعين ما لفظه : « مثل الغم للهاوية يساقون . الموت يرعاهم . ويسودهم المستقيمون غداة . وصورتهم تلبى ، الهاوية مسكن لهم :

(١٧) سفر اللاويين ويسمى سفر الأحبار . الآية الرابعة والخامسة من الأصحاح (الفصل) الثامن عشر

(١٨) توجد آيتان هذا المعنى فى الأصحاح الخامس من سفر الأمثال الآية الحادية عشرة والآية الثانية والعشرون . ولا أدرى إلى أى الآيتين يشير ؟ وعلى كل : سياق الحديث لا يشير إلى القيامة . بل إلى الابتعاد عن الزنى لئلا يهلك الجسد وتنحط قونه والآيتين هكذا : « فتنوح فى فى أو انخرتك عند فناء لحمك وجسمك » - « الشرير تأخذ آثامه ويحبال خطيته بمسك » .

(١٩) هذا النص فى الأصحاح السادس والعشرين من سفر أشعيا الآية التاسعة عشر . ولا يقصد به أشعيا يوم القيامة بل يقصد : أن اليهود سيستيقظون وقت مجيئ نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم على حد قوله تعالى : (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمضى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) بدليل قوله فى أول الأصحاح : « افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة . . . إلخ » وبدليل قوله بعد النص : « استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لأن طلك ظل أعشاب . . . إلخ » .

(٢٠) الآية الثانية من الأصحاح الثانى عشر من سفر دانيال .

(٢١) يسمى الآن سفر المزامير .

إنما الله يفتدى نفسه ، من يد الهاوية : لأنه يأخذني^(٢٢)» ا. هـ . وفي المزمور الخامس والخمسين : « ليبغتهم الموت ، لينحدروا إلى الهاوية أحياء . لأن في مساكنهم ، في وسطهم شروراً^(٢٣) » ا. هـ .

وفي المزمور السادس ما لفظه : « وأنت يا رب فحني مني ، عد يا رب : نج نفسي . خلصني من أجل رحمتك ؛ لأنه ليس في الموت ذكرك ، في الهاوية من يحمذك ؟^(٢٤) » ا. هـ . وفي المزمور التاسع : « الشرير يعلق بعمل يديه . . . الأشرار يرجعون إلى الهاوية^(٢٥) » ا. هـ . وفي المزمور السادس عشر :

« جسدي أيضاً يسكن مطمئناً . لأنك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تفيك يرى فساداً^(٢٦) » ا. هـ .

* * *

وفي الإنجيل ذكر الجنة والنار في مواضع كثيرة ففي الإصحاح الخامس من الإنجيل الأول إنجيل متى « ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم — إلى قوله — ولا يلقى جسداً كله في جهنم^(٢٧) » وفي الإصحاح العاشر من

— (٢٢) الآيتان الرابعة عشرة والخامسة عشرة من المزمور التاسع والأربعين حسب ترجمة البروتستنت بمصر سنة ١٩٧٠ م .

— (٢٣) الآية الخامسة عشرة من المزمور الخامس والخمسين . بروتستنت .

(٢٤) الآيات : الثالثة والرابعة والخامسة من المزمور السادس — بروتستنت .

(٢٥) الآيتان السادسة عشرة والسابعة عشرة من المزمور التاسع — بروتستنت .

(٢٦) المزمور السادس عشر الآية التاسعة والعاشر — بروتستنت .

(٢٧) من الآية الثالثة والمشرين إلى نهاية الآية الثلاثين من إنجيل متى الإصحاح الخامس .

متى : « بل خافوا بالحري من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم^(٢٨) » ا. هـ.

وفى ذلك تصريح بحشر الأجساد . وفى الأصحاح الثالث عشر من متى :
« يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعثر والمعثرى وفاقلى الإثم
ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان^(٢٩) » . وفى
الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس ما لفظه : « وتمضى إلى جهنم إلى النار
التي لا تطفأ . حيث دورهم لا يموت والنار لا تطفأ^(٣٠) » . وفى الأصحاح
السادس عشر من إنجيل لوقا ما لفظه : « ومات الغنى ودفن فرفع عينيه فى
الهاوية وهو فى العذاب^(٣١) » ا. هـ.

وفى الأصحاح الثامن عشر من متى : صرح بذكر دخول النار المؤبدة
وبذكر دخول جهنم^(٣٢) . وفى الأصحاح الثانى والعشرين من متى ما لفظه :
« فى ذلك اليوم جاء إليه صديقون . الذين يقولون ليس قيامة^(٣٣) » ا. هـ.

(٢٨) الآية الثامنة والعشرون من الأصحاح العاشر من إنجيل متى . وهذه الآية فى ثنايا وصية
المسيح عيسى عليه السلام لتلاميذه أن يصرحوا بمجيء نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ولا يخافون
من الاضطهادات . وقد لقب المسيح عليه السلام نبي الإسلام بلقب « ابن الإنسان » اللقب الذى
تحدث به عنه دانيال النبي فى الأصحاح الثانى والسابع من سفره .

(٢٩) الآيتان : واحد وأربعون واثنتان وأربعون من الأصحاح الثالث عشر من متى .
ولا يشير المسيح بهذا النص إلى يوم القيامة . بل يشير إلى مجيئ نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم
ويلقبه « ابن الإنسان » والمراد بملاكته : أتباعه وصحابته حين يرسلهم لفتح البلاد الإسرائيلية
لنشر الإسلام فهلكون الأشرار [انظر كتابنا : البشارة بنبي الإسلام فى التوراة والإنجيل] .

(٣٠) الآيات : ثلاثة وأربعون إلى ستة وأربعين من الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس .

(٣١) الآية الثانية والعشرون من الأصحاح السادس عشر من لوقا .

(٣٢) وفى الآية الثامنة من الأصحاح الثامن عشر من متى : « فإن أعترتك يدك أو رجلك
فاقطعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية
يدان أو رجلان » .

(٣٣) الآية الثالثة والعشرون من الأصحاح الثانى والعشرين من متى .

فانظر إلى هذا النص الصريح بالقيامة . وإلى التصريح بأن الذين يقولون : لا قيامة هم الصلوقيون. وكفى بهذا دافعاً في وجه من زعم أن إثبات ذلك زنادقة في الشريعة السابقة كما ذكره زنادقة في هذه الشريعة المحمدية .

وفي الأصحاح الخامس والعشرين من متى . ما لفظه : « ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته (٣٤) » .

وفي هذا التصريح بما لا يحتاج إلى زيادة . وهذه النقول من الإنجيل الذى جمعه متى (٣٥) ونحوه أيضاً في الأناجيل الأخرى التى جمعها يوحنا ومرقس . وغيرهما ، وفي إنجيل لوقا في الأصحاح العشرين منه : « وأما أن الموتى يقومون : فقد دل عليه موسى (٣٦) » وفي الأصحاح الثالث والعشرين أن المسيح قال للمصلوب ما لفظه : « قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك اليوم تكون معى فى الفردوس (٣٧) » انتهى . وفي الإنجيل الذى جمعه يوحنا فى الأصحاح الخامس . ما لفظه : فإن تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة . والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (٣٨) » وفي الأصحاح السادس من يوحنا « أن كل من يرى الابن . ويؤمن به . تكون له حياة أبدية . وأنا أقيمه فى اليوم الأخير (٣٩) » .

(٣٤) الآية الحادية والأربعون من الأصحاح الخامس والعشرين من متى . وفى هذه الآية فى سياق الحديث عن « ابن الإنسان » .

(٣٥) ليست نصوصه من متى فقط . بل من متى ومرقس ولوقا .

(٣٦) الآية السابعة والثلاثون من الأصحاح العشرين من لوقا .

(٣٧) الآية الثالثة والأربعون من لوقا الأصحاح الثالث والعشرين .

(٣٨) الآيتان الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون من الأصحاح الخامس من يوحنا وهو لا يشير بالآيتين إلى يوم القيامة . بل التعبير مجازى عن « ابن الإنسان » .

(٣٩) انظر فصل أثنونم الابن فى كتابنا ، أقانيم النصارى . وهذه الآية رقم أربعة فى الأصحاح السادس من يوحنا .

وفي الأصحاح الثامن من يوحنا ما لفظه : « الحق . الحق أقول لكم : إن كان أحد يحفظ كلامي . فلن يرى الموت إلى الأبد »^(٤٠) انتهى .

وإذا عرفت هذا المصرح به الإنجيل . هكذا صرح الحواريون من أصحاب المسيح عليه السلام في رسائلهم المعروفة ، وهذه النصوص ترد على بن أبي الحديد المعزلى شارح نهج البلاغة قوله وهو : إن كل ما في التوراة من الوعد والوعيد فهو متافع الدنيا ومضارها ، ولم يأت فيها ما يتعلق بما بعد الموت ، وأما المسيح فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ولكن جعل العقاب روحانياً وكذلك الثواب^(٤١) . انتهى ، وكذلك ترد على رئيس الملاحدة ابن سينا حيث قال إن النصارى أثبتوا بعث الأبدان وخلوها عن المطعم والملبس والمشرب . والمنكح^(٤٢) ، انتهى .

(٤٠) الآية الحادية والخمسون من الأصحاح الثامن من يوحنا وهي مكررة كثيراً في يوحنا .
(٤١) ابن أبي الحديد لم يكذب فيما نقله عن اليهود العبرانيين والنصارى . فإن التوراة العبرانية وضع فيها الأحبار النص عن يوم القيامة محتملاً لمعنيين إما لجزء في الدنيا وإما لجزء في الآخرة . وأما التوراة السامرية ففيها النص واضح عن يوم القيامة كما بينا في التقديم والشيخ صديق حسن خان لم يذكر نصاً على يوم القيامة من توراة موسى [الأسفار الخمسة] وإنما كما رأينا نقل نصوصاً من أسفار الأنبياء وبعض النصوص التي ذكرها لا تدل صراحة على القيامة والنص الذي ذكره من توراة موسى عن الجنة كما رأينا محتملاً لبستان في الأرض ومحتملاً لدار الثواب . فكيف يلوم الشيخ صديق الشيخ ابن أبي الحديد ؟ والنصارى إلى الآن يقولون بالبعث الروحاني [انظر تفسير متى هنري للأصحاح الثاني والعشرين من متى الآية الثالثة والعشرين وما بعدها الجزء الرابع] وذلك لأنهم يعتمدون على السؤال الذي قدمه الصلوقيون للمسيح عن المرأة التي تزوجت سبعة رجال . يوم القيامة تكون لمن ؟ والصلوقيون طائفة من العبرانيين لا تؤمن إلا بتوراة موسى وترفض أسفار الأنبياء وتقاليدهم الفريسيين . فلو كان النص عن يوم القيامة واضحاً ما يجادل الصلوقيون في يوم القيامة ؟ وما طلبوا من المسيح دليلاً عليه ؟ ولم يجد المسيح في التوراة العبرانية نصاً صريحاً على القيامة فلذلك التمس دليلاً عقلياً مستنبطاً من آية في التوراة . هذه الآية التي تقول إن الله كلم موسى وقال له : أنا إله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ووجه الاستنباط : لو كان إبراهيم بعد ما مات قد قضى عليه وتلاشى من الوجود لقضى أيضاً على علاقة الله به كإله ولكن الله في الوقت الذي تحدث مع موسى قال « أنا إله إبراهيم » ولذلك فلا بد أن إبراهيم كان حياً وقتئذ ، الأمر الذي يبرهن على خلود النفس في حالة السعادة وهذا يتبعه بلا شك قيامة الجسد لأن انفصال النفس عن الجسد انفصالاً نهائياً أبدياً لا يتفق مع سعادة أولئك الذين اتخذوا الله إلهاً لهم .
(٤٢) لماذا عد ابن سينا من الملاحدة ؟ إنه يحكي اعتقاد النصارى كما حكى ابن أبي الحديد .

قال شيخنا العلامة المحجَّب المطلق محمد بن علي الشوكاني في المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة : إن أصل هذه المقالة الملعونة والرواية عن التوراة والإنجيل المكذوبة ، مقالات قالها جماعة من مزندقة اليهود النصارى كابن ميمون وأضرابه (٤٣) .

وأنهم أي اليهود كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة ، وقد وقع من هنا الملعون التحريف لما في التوراة وتلقى ذلك عنهم زنادقة الملة الإسلامية استرواحاً منهم لما يتضمن من القدح في شرائع الله سبحانه : انتهى .

ثم نقل ما في التوراة والزبور والإنجيل نحو ما ذكرنا وزاد في القول في رسالته التي سماها « إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات » وهذه الكتب الثلاثة الإلهية موجودة عندنا باللسان العربي فاستفاد من ذلك أن الأمر خلاف ما قاله زنادقة الملة اليهودية والملة النصرانية ثم تعقب الشوكاني رحمه الله ابن ميمون وابن أبي الحديد وأوضح فسادة ثم قال :

وأما نصوص القرآن فهو من فاتحته إلى خاتمته مصرحة بالجنة والنار وبعثه

== وناقل الكفر ليس بكافر إن النصارى أثبتوا بعث الأبدان وخلوها عن المطعم والملبس لأنهم قالوا بالنعيم الروحاني واستندوا في ذلك على ما جاء في الإنجيل ونصه : « في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلين : يا معلم . قال موسى : إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويفيم نسلاً لأخيه فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات وإذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً في القيامة لمن من السبعة تكون زوجة ؟ فإنها كانت للجميع فأجاب يسوع . وقال لهم : تفسلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كلائكة الله في السماء » [متى ٢٢ : ٢٣ - ٢٩] وهذا ما جاء في الأصحاح الثامن والعشرين من إنجيل متى أما ما جاء عن المسيح في إنجيل برنابا ففيه تصريح بالنعيم الجسماني وهو الصحيح .

(٤٣) لا يوجد من النصارى من ينكر البعث . والذي أنكره من اليهود طائفة الصدوقيين من العبرانيين وقد اعترف به السامريون وطائفة الفريسيين من العبرانيين وابن ميمون لم ينكر البعث مطلقاً إنما أنكر البعث الجسماني وأثبت البعث الروحاني كما يقول الشيخ صديق . « وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية . . . إلخ » .

الأجسام وتنعمها أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من أنواع ذلك ، ومن تتبع ما في كتاب الله سبحانه من حكاية نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار عن الملل السالفة وعن كتب الله المنزلة عليها وجده كثيراً جداً لا يتسع المقام لبسطه ، وقد بعث النبي ﷺ وأهل الملة اليهودية والملة النصرانية في أكثر بقاع الأرض ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك أو قال هو خلاف ما في التوراة والإنجيل ، وقد سكن النبي ﷺ في المدينة الشريفة ونزل عليه أكثر القرآن بها ، وكان اليهود متوافرين فيها وفيما حولها من القرى المتصلة بها ، وكانوا يسمعون ما ينزل الله على رسوله ﷺ من القرآن وينكرون ما ورد مخالفاً لما في التوراة ويجادلون أبلغ مجادلة ، كما حكى ذلك القرآن الكريم وتضمنته كتب السير والتاريخ ، ولم يسمع أن قائلاً قال إنك تحكى عن التوراة ما لم يكن فيها من البعث ونييم الجنة وعذاب النار ، وقد كانوا يتهاكون على ذلك ويبالغون في تتبعه بل كانوا في بعض الحالات ينكرون وجود ما هو موجود في التوراة كالرجم (٤٤) .

فكيف يسكتون عن هذا الأمر العظيم مع سماعهم لحكاية القرآن له عنهم وعن التوراة، وهل كانوا يعجزون عن أن يسمعوها ما حكاها الله عنهم من قولهم : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) أن يقولوا ما قلنا هذا ولا نعتقده ولا جاءت به شريعة موسى ، وهكذا عند سماعهم قوله تعالى : (إن هذا لى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) .

وبهذا تبين أن هذه المقالة لم يسمع بها اليهود ولا النصارى إلا في عصر رأس الزنادقة ابن ميمون عليه لعائن الله تعالى . انتهى كلامه .

وكلام ابن ميمون هذا كما هو مخالف للملة اليهودية ولما جاءت به التوراة

(٤٤) حكم الرجيم المذكور في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية . ومن النصوص : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجمهما بالحجارة حتى يموتا » .

ولما قاله علماء اليهود هو أيضاً مخالف للملة النصرانية^(٤٥) ولما جاء به الإنجيل وقاله علماء النصارى ، ومخالف أيضاً لما جاءت به الشريعة الداوودية^(٤٦) وما صرح به الزبور ومخالف أيضاً لما جاءت به الملة الإسلامية وما صرح به القرآن الكريم وأجمع عليه علماء الإسلام بل مخالف لشرائع الأنبياء جميعاً كما حكى ذلك عنهم القرآن فنحن وإن لم نقف على غير التوراة والزبور والإنجيل من شرائع الأنبياء السابقة فقد حكاها لنا القرآن في غير موضع كقوله تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) وقوله : (يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ، وقوله حاكياً عن مؤمن آل فرعون^(٤٧) : (يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) إلى قوله - : (وإن الآخرة هي دار القرار) إلى قوله : (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) وقوله : (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلی) إلى قوله : (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) إلى آخر الآيات بطوله .

والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ، ولم يخالف فيه أحد ،

(٤٥) الملة النصرانية ليست شريعة منفصلة عن شريعة موسى . لأن المسيح صرح بقوله : « ما جئت لأتقض التاموس أو الأنبياء » [متى ٥ : ١٧] ما جاء لنسخ شريعة التوراة ولا لإبطال كتب الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى بل جاء للإصلاح فإن ترجمة « بل لأكمل » في الأصل اليوناني « بل لأصحح » وعلى ذلك فكل ما تركه موسى ملزم تمام الإلزام للنصارى . وكان المسيح يحل بعض ما حرمه علماء اليهود على الناس من التشديدات التي ابتدعوها . كفصل الأيدي قبل الطعام ونحوه وما كان يحل بخصوص من الإنجيل لتحريم موجود بنصوص في التوراة فالمسيح لم يغير من التوراة كلمة واحدة .

(٤٦) لم يكن الزبور الذي نزل على داود عليه السلام شريعة مثل شريعة موسى . بل هو عبارة عن أدعية وتسابيح وتنبؤات عن نبي الإسلام صل الله عليه وسلم مثل الإنجيل سواء بسواء .

(٤٧) ظهر من آثار المصريين القدماء اعترافهم بالبعث في قصة الفلاح الفصيح : « اكبج جراح السارق ودافع عن الفقير ، ولا تكن صد الشاكي . واحذر من قرب الآخرة » [الأدب المصري القديم ١ - ص ٨٦ سليم حسن] .

وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل والنحل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك إلا ما تقدم من ابن ميمون الملعون وأفراخه فإنه وقع عنه كلام في إنكار المعاد، ثم اختلف كلامه في ذلك فتارة يثبتها وتارة ينفيه، وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيهه به من أهل الإسلام كابن سينا^(٤٨) فقلده ونقل

(٤٨) ابن سينا من فلاسفة المسلمين الذين اعترفوا بالبعث. ثم اختلف مفسرو كلامهم : هل يقولون بالبعث الروحاني أو الجسماني والروحاني معاً ؟ جمهور المفسرين لكلام ابن سينا يقرون بأنه ينكر البعث الجسماني ولا ينكر البعث الروحاني غير أنه توجد إشارات في كتابه الإشارات يمكن أن تكون منه اعترافاً بالبعث الجسماني والروحاني معاً .

يقول ابن سينا في الإشارات : « إن العقاب للنفس على خطئها - كما ستعلم - هو كالمرض للبدن على فهمه ، فهو لازم من لوازم ما ساقته إليه الأحوال الماضية التي لم يكن من وقوعها بد ، وأما الذي يكون على جهة أخرى من مبدأ له من خارج فحديث آخر » ا . هـ .

ويقول شارح الإشارات في تعليقه على هذا النص بعد أن يبين عقاب النفس من داخل ذاتها : لكن الآيات الواردة بالوعيد في الكتب الإلهية لو أجريت على ظواهرها لانتقضت القول بعقاب جسماني وارد على بدن المئى من خارج على ما يوصف في التفسير والأخبار » ا . هـ .

فأشار الشيخ إلى ذلك بقوله :

« وأما العقاب الذي يكون على جهة أخرى من مبدأ له من خارج فحديث آخر . أى إثباته على الوجه المشهور لكان سمياً » ثم يقول ابن سينا : - « ثم إذا سلم معاقب من خارج فإن ذلك أيضاً يكون حسناً لأنه قد كان يجب أن يكون التخويف موجوداً في الأسباب التي تثبت فتتفع في الأكثر . والتصديق تأكيد للتخويف . فإذا عرض من أسباب التقدر أن عارض واحد مقتضى التخويف والاعتبار فركب الخطأ وأتى بالجريمة وجد التصديق لأجل الغرض العام وإن كان غير ملائم لذلك الواحد . ولا واجباً من مخار رحيم . لو لم يكن هناك إلا جابب المتبل بالقدر ولم يكن في المفسدة الجزئية لمصلحة عامة كبيرة . لكن لا يلتمت لفت الجرفي لأجل الكلي كما لا يلتمت لفت الجزء لأجل الكل فبقطع عضو يؤلم لأجل البدن بكليته ليسلم » ا . هـ .

ويتناول شارح الإشارات النص بالشرح والتحليل ثم يختم شرحه بقوله :

وقد تبين من ذلك : أن ما ورد به التنزيل إذا حمل على ظاهره لم يكن مخالفاً للأصول الحكيمية » ا . هـ .

[كتاب الإشارات ص ٧٤٢ - ٧٤٤ خراج الدكتور سليمان دنيا] .

عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية لإثبات المعاد.
تقليداً لذلك اليهودي الملعون الزنديق مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة.
وسموه (٤٩) كافراً وتبع ابن سينا ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة وهلم
جراه

(٤٩) اليهود لا يؤمنوا هذا : يعتقد كثير منهم أن ابن ميمون مات مسلماً ..

(باب)

في بيان وجود النار الآن

اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحدِيث قاطبة ، وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، كما تقدم في المقدمة ، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة عن أهل البدع والأهواء ، فخا نكرت أن تكون الآن مخلوقة موجودة ، وقالت بل الله ينشئها يوم المعاد ؛ وأن خلق النار قبل الجزاء عبث فإنها نصير معطلة مددأ متطولة ليس فيها سكانها ؛ فردوا من النصوص الأصول والفروع ، وضلوا كل من خالف بدعتهم هذه بما لا يسمن ولا يغني من جوع . ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان في الحال ، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحدِيث كافة لا يختلفون فيها ، منهم أبو الحسن الأشعري إمام الأشاعرة في كتابه « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » .

وقد ذكر الله تعالى النار في كتابه في مواضع كثيرة يتعسر حدها وينوت عنها ووصفها . وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها فقال عز من قال : « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » وقال : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » وقال : « إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها » وقال : « إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا » وقال : « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا » وقال تعالى : « أغرقوا فأدخلوا نارا » وقال : « وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » . وقال : « فلإنا أعتدنا للكافرين سعيرا » وقال : « وأعتدنا لهم عذابا » .

السعير) وقال: (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) إلى غير ذلك من الأدلة .
القطعية التي كلها صيغ موضوعة للمضى حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى
المجازات إلا بصريح آية أو صحيح دلالة وأنى لهم ذلك ؟

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ
قال : « إن أحدكم إذا مات تهرض عليه مقعده بالغداة والعشي
إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فن أهل النار ،
يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » وفيها أيضاً أن النبي ﷺ
رأى في صلاة الكسوف النار فلم ير منظرأ أفظع من ذلك ، وفي البخارى
عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها
النساء ، وفيه دلالة على وجودها حال اطلاقه ، ورواه الترمذى والنسائى أيضاً .

وفي الصحيح « باب صفة النار . وأنها مخلوقة الآن » وعن أبي ذر عن
النبي ﷺ : أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم . وعن أبي هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : اشتكت النار إلى ربها فقالت رب
أكل بعضى بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد
ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير ، رواه البخارى أى من
ذلك التنفس .

وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ : الحمى
من فيح جهنم فأبردوها بالماء . رواه البخارى وفي رواية من فور جهنم رواه
عن رافع بن خديج .

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن ، وفي مسند أحمد وسنن أبي داود .
والنسائى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : ولقد أدنيت النار منى حتى
جعلت أتقيا خشية أن تغشاكم ، الحديث . وفي صحيح مسلم من حديث أنس .

رضى الله عنه أنه ﷺ قال: لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً قالو وما رأيت يارسول الله؟ قال رأيت الجنة والنار.

وفي مسند أحمد ومسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع وقال: بعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر الجنة فحفت بالمكاره فقال فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها. قال فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، ثم أرسله إلى النار وقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها، قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح.

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً يرفعه: حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات، وفي الباب أخاديت كثيرة، وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوى فى عقائده: الجنة والنار حق وهما مخلوقتان اليوم باقيتان إلى يوم القيامة انتهى، ونحوه ومثله فى الكتب الأخرى المؤلفة فى أصول الدين.

(باب)

في أن النار لا تطفى ولا يطفى ما فيها

قال تعالى: (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم وقال تعالى: (يدخله ناراً خالداً فيها) وقال تعالى: (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) وقال تعالى: (أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) وقال تعالى: (فإن له نار جهنم خالداً فيها) وقال: (فادخلوا نار جهنم خالدين فيها) وهذه في غير موضع من القرآن، وقال: (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) وقال: (في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار) وقال: (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون) وقال: (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) وقال: (في نار جهنم خالدين فيها أبداً) وقال: (وما هم بخارجين من النار).

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه» أخرجه الشيخان وفي رواية عنه عندهما فيزيد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين، ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين، فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت، فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها» أخرجه البخاري ومسلم.

وفي هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة عن الترمذي وصححه والحاكم وابن ماجه، وعن أنس عن أبي يعلى والبزار والطبراني وفيه. فيذبح كما تذبيح

الشاة فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء ، فثبت بما ذكر من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم .

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة ، وزعمت الجهمية أن الجنة والنار تفنيان ، قال هذا جهنم بن صفوان إمام المعطلة وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة .

نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين وحاصل ذلك كله سبعة أقوال :
أحدها : قول الخوارج والمعتزلة أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها يخلد فيها أبداً الآباد .

الثاني : قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقها لطبائعهم وهذا قول محيي الدين بن عربي الطائي في كتابه « نصوص الحكم » وغيره من كتبه .

الثالث : قول من يقول إن أهل النار يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فكذبهم فيه وقد كذبهم الله تعالى أيضاً في قوله : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده :

الرابع : قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بحالها ليس فيها أحد يعذب ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض أهل الفرق قال : والقرآن والسنة يردان هذا القول .

الخامس : قول من يقول تفتى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن ، وما ثبت حدوثه استحالة بقاؤه وأبديته ، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا يفرق عنده بين الجنة والنار .

السادس : قول من يقول تفتى حياتهم وحركاتهم ويصبرون جراداً لا يتحركون ولا يحسون الألم . وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لانهاية لها ، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

السابع : قول من يقول إن الله تعالى يفنيها لأنه ربها وخالقها ، لأنه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفتى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين ، ولشيخ الإسلام وتلميذه الإمام المحقق الحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى ركون إلى هذا القول ، وذكر ابن القيم على تأييده بضعاً وعشرين وجهاً ثم قال : وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فن الله وهو المنان به ، وما كان ممن خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريثان منه . والله عند لسان كل قائل ووقصده والله أعلم . انتهى .

وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها « توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين » وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ، ورسالة للقاضي العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني حاصلهما بقاء الجنة والنار وخلود أهلها فيهما . وهو الحق الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأئمة والأمة والله أعلم .

قال القرطبي : أجمع علماء أهل السنة على أن أهل النار يخلدون فيها غير خارجين منها كما يليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر وطفئ وتجر فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، وقد أعدهم الله عذاباً أليماً فقال عز وجل : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد فيها إلا كافر . فاعلمه .

وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء فقال : إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وشيطان وجاحد ويدخل الجنة وإنه جائز في العقل أن تنقطع هيئة الغضب ، فيعكس عليه فيقال وكذلك جائز في العقل : أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن تدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصادق قال تعالى في حق أهل الجنان : (عطاء غير مجدود) أى غير مقطوع وقال : (وما هم منها بمخرجين) وقال : (لهم أجر غير ممنون) وقال : (لهم فيها نعيم مقيم خالد فيها أبداً) وقال في حق الكافرين : (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وقال : (فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون) وهذا واضح .

وبالجمله فلا مدخل للعقول فيمن اقتطع أصله بالإجماع والتقول . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، انتهى .

ولعل القرطبي أراد بقوله « زل هنا بعض » الشيخ محيي الدين بن عربي صاحب الفتوحات فإنه ذهب إلى ذلك وتبعه من تبعه من علماء الشريعة ، وبناء هذا القول على أنه ترجح في أنظارهم سبق رحمة الله على غضبه كما ورد بذلك الحديث الصحيح في البخارى وغيره وعلى أن الخلف في الوعيد جائز وفي الوعد لا يجوز ، ولكل وجهة هو موليها ، ولكن لا ريب في أن ظاهر النظم القرآنى وواضح النص السنى : خلود كل من أهل النار والجنة في كل

من الجنة والنار . وهو الحق المطابق بالأدلة الشرعية المجمع عليها المصار إليها :
والله أعلم وعلمه أتم وأحكم .

مسألة :

سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عن حديث روى عن أنس
ابن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: « سبعة لا تموت ولا تنفى ولا تندوق الفناء :
النار وسكانها ، والجنة وسكانها ، واللوح والقلم والكرسى والعرش » فهل
هذا الحديث صحيح أم لا .

فأجاب رحمه الله : هذا الحديث بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ
وإنما هو من كلام بعض العلماء ، وقد اختلف سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل
السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار
والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام
المتبدعة كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل
مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وقد دلت الأدلة
على بقاء الجنة والنار وأهلها وبقاء ذلك ، وقد استدلت طوائف من أهل
الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية . انتهى ولا يتسع
المقام لذكرها هنا .

* * *

(باب)

في ذكر مكان النار ، وأين هي ؟ على مقتضى
الآثار ، وكذا مكان الجنة

فاعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال تعالى في
محكم القرآن: (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)
وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة : وقال تعالى : (وفي السماء
رزقكم وما توعدون) قال مجاهد هو الجنة ، وتلقاه الناس عنه رواه ابن
أبي نجيح ، وفي رواية عنه : هو الجنة والنار . حكاه ابن المنذر في تفسيره .

وعن عبد الله ابن سلام قال : قال أكرم خليفة الله أبو القاسم عليه السلام
« إن الجنة في السماء » أخرجه أبو نعيم ، وعنده أيضاً عن ابن عباس : « أن الجنة
في السماء السابعة » ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، « وجهنم في الأرض
السابعة » وعن ابن مسعود رضى الله عنه : « الجنة في السماء السابعة فإذا كان
يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة
جعلها الله حيث شاء » أخرجه ابن منبه .

وقال مجاهد قلت لابن عباس : « أين الجنة ؟ قال فوق سبع سموات ، قلت
فأين النار ؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة » رواه ابن منبه ، قال الشوكاني في
فتح القدير : والأولى الحمل على ما هو الأعم من هذه الأقوال فإن جزاء
الأعمال مكتوب في السماء والقدر والقضاء ينزل منها والجنة والنار فيها . انتهى .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن جهنم
محيطة بالدنيا . وإن الجنة وراءها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى
الجنة » أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه سئل رسول الله ﷺ من أين يجاء بجهنم يوم القيامة ؟ قال يجاء بها من الأرض السابعة لها سبعون ألف زمام يتعلق بكل زمام سبعون ألف ملك تصيح إلى أهلى إلى أهلى فإذا كانت من العباد على مسير مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه فيقول رب نفسى نفسى ، وأخرجه جويبر فى تفسيره .

وعن يعلى بن أمية رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « البحر هو جهنم » أخرجه أحمد والبيهقى بسند رجاله ثقات ، وعن سعيد بن أبى الحسين قال : « البحر طبق جهنم » أخرجه أحمد فى الزهد ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : ما رأيت يهودياً أصدق من فلان زعم أن نار الله الكبرى هى البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرته . أخرجه أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى من طريق سعيد بن المسيب .

وعن كعب فى قوله تعالى : (والبحر المسجور) قال البحر يسجر فيصير جهنم ، أخرجه أبو الشيخ وعن وهب بن منبه أنه قال : إذا قامت القيامة أمر بالخلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه نار فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرف العين وهو حاجز بين جهنم والأرضين السبع ، فإذا انشقت اشتعلت فى الأرضين السبع فتدعها جمره واحدة ، أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

وقيل إن النار فى السماء كالجنة لما روى أحمد من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : أتيت بالبراق فلم نزأيل طرفه عين أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار ، وأخرج أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت ليلة أسرى فى الجنة والنار فى السماء ، وقرأ هذه الآية : (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فكأنى لم أقرأها .

قال السفارنى وليس فى هذا ونحوه حجة على أن النار فى السماء لجواز

أن يراها في الأرض وهو في السماء ، وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الأرض ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآهما وهو في صلاة الكسوف وهو في الأرض .

قال الحافظ ابن رجب : وحديث حذيفة إن ثبت قال السماء ظرف للروية لا للمرئى . وفي حديث ضعيف جداً أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار فوق السموات فلو صح على حمل ما ذكرنا .

والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش ، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق ؛ انتهى .

أقول قال السيوطى فى إتمام الدراية شرح النقاية : ونعتقد أن الجنة فى السماء وقيل فى الأرض وقيل بالوقف حيث لا يعلمه إلا الله ، والذى اخترته هو المفهوم من سياق القرآن والحديث كقوله تعالى فى قصة آدم : (قلنا اهبطوا منها) وفى الصحيح سلوا الله الفردوس فإنه أعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفى صحيح مسلم : «أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » وتوقف عن النار أى تقول فيها بالوقف أى محلها حيث لا يعلمه إلا الله ، فلم يثبت عندى حديث اعتمده فى ذلك وقيل تحت الأرض لما روى ابن عبد البر وضعفه من حديث ابن عمر مرفوعاً لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر ناراً . وروى عنه أيضاً موقوفاً لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم وضعفه ، وقيل هى على وجه الأرض لما روى وهب أيضاً .

قال أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالا صغاراً — إلى أن يقال — يا قاف أخبرنى عن عظمة الله فقال إن شاء ربنا لعظيم . إن ورأى أرضاً مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة عام من جبال تلج يحطم بعضها بعضاً ولولا هى لأحترقت من جهنم . وروى الحارث بن أسامة فى مسنده عن عبد الله بن سلام

قال : اللجنة في السماء والنار في الأرض ، وقيل محلها في السماء . انتهى كلامهم
السيوطي ومثله في التذكرة للقرطبي قال : فهذا يدل على أن جهنم على وجه
الأرض والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض . انتهى .

وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقيدته : ولم يصرح نص
بتعيين مكانهما بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه ، انتهى .

أقول وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى .

* * *

(باب)

في آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم

قال القرطبي في التذكرة : ذكر الله تعالى النار في كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها وأوعدها الكافرين وخوف الطغاة والمتمردين والعصاة من الموحدين لينزجروا عما نهامهم ، والآي في هذا المعنى كثيرة ، انتهى . وهذا الكثير أذكره في بابين فهذا الباب أوردت فيه ما ورد من ذكر النار في الكتاب ثم أتبعه بباب آخر أذكر فيه ما ورد في صفة النار وأهلها وإن كان في هذا الاختيار والترتيب بعض التكرير وبالله التوفيق .

قال تعالى : (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ، الوقود بالفتح الحطب وبضم التوقد وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها ، وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تتقد بالناس والحجارة فأوقدت بنفس ما يراد لإحراقه بها ، ومعنى (أعدت) جعلت عدة لمعذابهم وهيئت كذلك قاله ابن عباس .

وعن أنس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال : أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لميها ، أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وأخرج بن أبي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوع مثله وأخرج أحمد ومالك والبخاري ومسلم عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال : « نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم . قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية قال فإنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » .

وعن أبي هريرة قال : ترونها جمرًا مثل ناركم هذه التي توقدون ، إنها لأشد سواداً من القار ، قال الشوكاني في فتح القدير : والآية دلت على أنها مخلوقة إذ الأخبار عن إعدادها بلفظ الماضي دليل على وجودها وإلا لزم الكذب في خبر الله تعالى ، فزعمت المعتزلة من أنها تخلق يوم الجزاء مردود . وتأويلهم بأنه يعبر عن المستقبل بالماضي لتحفيق الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بقريئة والأحاديث الصحيحة المتقدمة تدفعه . انتهى .

وقال تعالى : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد يستعمل مجازاً فيما يطول : دام أو لم يدم ، والمراد هنا الأول لما تشهد له الآيات والأحاديث :

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : لو قيل لأهل النار إنكم ما كثون في النار عدد بكل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة إنكم ما كثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن نجعل لهم الأبد . أخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم وقال ابن عباس يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً لا انقطاع له .

وقال تعالى : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) أي قدراً مقدرًا يحصرها العدد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع عنا العذاب قاله اليهود ، وفي سبب نزولها في الحديث قال رسول الله ﷺ : كذبتكم بل أنتم خالدون مخلدون فيها ، قال عكرمة وهذه الآية في مواضع من القرآن .

وقال تعالى : (ولا تستل عن أصحاب الجحيم) وهي النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق نار ، وقال أبو مالك : الجحيم ما عظم من النار ، وقال تعالى : (ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) أي . سأرزقه في الدنيا مدة حياته ثم ألزه لئلا المضطر إلى عذابها .

وقال تعالى (وما هم بخارجين من النار) فيه دليل على بخلود الكفار في النار وظاهر هذا التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتقوية لغرض. له يرجع إلى المذهب والبحث في هذا يطول ، وعن ثابت بن معبد قال بما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت هذه الآية .

وقال تعالى (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) ذكر البطون دلالة وتأكيدها على أن هذا الأكل حقيقة ، وقال تعالى (فما أصبرهم على النار) معناه التعجب والمراد تعجب الخلق من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم .

وقال تعالى (وقنا عذاب النار) وقال تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) أى كافية معاقبة وجزاء وسميت مهاداً لأنها مستقر الكفار ، وقيل إنها بدل لهم من مهاد والمهاد الفراش ، قال مجاهد بثما مهودوا لأنفسهم ، وقال ابن عباس بثس المنزل وهذا من باب التهمك والاستهزاء .

وقال تعالى (أولئك يدعون إلى النار) أى إلى الأعمال الموجبة للنار فكان في مصاهرة المشركين ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه ، وقال تعالى (أولئك هم وقود النار) أى حطب جهنم الذى تسعر به ، وقال تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) الجملة مستأنفة تهويلاً وتفظيلاً أى بثس ما مهد لهم فيها ، وقال تعالى (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) وشفا كل شىء حرفه أى كنتم على طرفها من مات منكم وقع في النار فبعث الله محمداً ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة .

وقال تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) قال بعضهم إن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعقدة للكافرين.

إن لم يثقوه ويحتموا محارمه ، وقال تعالى (مأواهم النار وبئس مثنوى الظالمين)
 أى مسكنهم الذين يستقرون فيه وكلمة (بئس) تستعمل فى جميع المدام ، وفى
 جعلها مثنواهم بعد جعلها مأواهم رمز إلى خلودهم فإن المثنوى مكان الإقامة
 المنبثقة عن المكث ، والمأوى المكان الذى يأوى إليه الإنسان ، وقدم المأوى
 على المثنوى لأنه على الترتيب الوجودى يأوى ثم يثنوى .

وقال تعالى (ومأواه جهنم وبئس المصير) أى المرجع يعنى الغال
 والمتخلف عن رسول الله ﷺ ، وقال تعالى (ذوقوا عذاب الحريق)
 والحريق اسم النار الملتهبة وإطلاق الذوق على إحساس العذاب فيه مبالغة
 بليغة ، وقال تعالى (فن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الزحزحة
 التنحية والإبعاد ، وقال تعالى (سبحانهك فقنا عذاب النار ، ربنا إنك من
 تدخل النار فقد أخذيته وما للظالمين من أنصار) قال المفضل أخزيتته أهلكته
 وقيل فضحته وأبعدته ، قال سعيد بن المسيب : هذه الآية خاصة بمن لا يخرج
 منها .

وقال تعالى (إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) المراد بأكلها ما يكون سبباً
 للنار ، تعبير بالمسبب عن السبب ، قيل بطونهم أوعية النار وهذا على الحقيقة
 كما تقدم .

وقيل بالحجاز والأول أولى ، وقال تعالى (سيصلون سعيراً) أى بأكلهم
 أموال اليتامى والصلا هو التسخن بقرب النار أو بمباشرتها ، والسعير الجمر
 المشتعل وقيل النار الموقدة ، وقال تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد
 حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) أى وله بعد إدخاله النار
 عذاب ذو إهانة لا يعرف كنهه ! ولادليل فى الآية للمعتزلة على أن العصاة
 والفساق من أهل الإيمان يخلدون فى النار ، قال تعالى (فسوف نصليه ناراً)
 أى عظيمة يحترق فيها .

وقال تعالى (وكفى بجهنم سعيراً) أى ناراً مسعرة لمن لا يؤمن .

وقال تعالى (سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) أى آتيناهم مكان كل جلد محترق جلوداً آخر غير محترق. فإن ذلك أبلغ فى العذاب للشخص لأن إحساسه لعمل النار فى الجلد الذى لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها فى الجلد المحترق ، قال معاذ تبدل فى ساء مائة مرة .

وعن ابن مسعود أن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين ألف مرة ، وقال تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) وليس وراء هذا التشديد تشديد ، ولا مثل هذا الوعيد وعيد .

وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

وقد استدلت جماعة من أهل العلم بهذه الآية على حجة الإجماع ولا حجة فى ذلك كما قرره الشوكانى فى كتبه وقررتة أنا فى فتح البيان ، وقال تعالى (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً) أى معدلاً وقيل ملجأً ومخلصاً ومعيداً ومهرباً ، والمحيص اسم مكان وقيل مصدر .

وقال تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) أى مكانا يصيرون إليه ، والآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه فى بلد كما يجب بأى سبب كان وعلم أنه يتمكن من إقامته فى غيره حقت عليه الهجرة ، وفى الباب أحاديث ذكرناها فى خاتمة كتاب « العرة مما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة » فراجع .

وقال تعالى (إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً) أى كلاً اجتماعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء ، وقال تعالى (إن المنافقين فى الدرك

الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً) أى فى الطبقة الذى فى قعر جهنم ، والدرك الطبقة ، والنار دركات سبع بعضها فوق بعض ، وسميت طبقاتها دركات لأنها متداركة متتابعة .

فالمنافق فى الدرك الأسفل منها وهى الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله ، وأعلى الدرجات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وسيأتى تفصيل لذلك ، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة العليا ، أعادنا الله منها . وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتم .

وإنما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه أمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الأسفل فى الآخرة تعديلاً ، ولأنه مثله فى الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ، قال ابن مسعود الدرك الأسفل توابيت من حديد مقفلة عليهم وفى لفظ مبهم عليهم أى مقلقة لا يهتدي لكان فتحها . وعن أبى هريرة نحوه .

وقال تعالى (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً) والمعنى يدخلهم جهنم لكونهم افترقوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط شقاوتهم وجحدوا الواضح وعاندوا البين .

وقال تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى ملابسوها ، والجملة مستأنفة أتى بها اسمية دالة على الثبوت والاستقرار ، وهذه الآية نص قاطع فى أن الخلود ليس إلا للكفار ، لأن المصاحبة تقتضى الملازمة .

وقال تعالى (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين) أى من الملازمين لها ، قال تعالى (يريدون أن يخرجوا

من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) أى دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبداً .

وقد تواترت الأحاديث تواتراً لا ينحى على من له أدنى لإمام بعلم الرواية بأن عصاة الموحدين يخرجون من النار ، فمن أنكر هذا فليس بأهل المناظرة لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة .

وقال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) أى مصيره إليها فى الآخرة .

وقال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار) أى حبسوا عليها وقيل دخلوها وقيل بقربها معانين لها ، والتقدير لرأيت منظراً هائلاً وحالاً فظيماً وأمرأ عجيباً .

وقال تعالى (الذين أفسدوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) والحميم الماء الحار البالغ نهاية الحرارة ، ومثل قوله تعالى (يصب من فوق رؤسهم الحميم) وهو هنا شراب يشربونه فيقطع أمعاءهم .

وقال تعالى (لأملأن جهنم منكم أجمعين) وفى هذا من التهديد مالا يقادر قدره ، وقال تعالى (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) جمع غاشية أى نيران تحيط بهم من تحتهم وتغشاهم من فوقهم كالأغطية ، قال ابن عباس الغواش الحف ، وبه قال القرطبي والضحاك والسدى .

وقال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) أى جعلهم سبحانه للنار بعدله وبعمل أهلها يعملون ، وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم كما ثبت فى الأحاديث الصحيحة .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إن الله لما ذرأ
لجهنم من ذرأ كان ولد الزنى ممن ذرأ لجهنم. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم
وأبو الشيخ وابن النجار (٥٠).

وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ إن الله خلق للجنة أهلاً خلق لهم لها
وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار خلقهم لها وهم فى صلاب آبائهم
أخرجه مسلم .

وقال تعالى (إن للكافرين عذاب النار) إشارة إلى العقاب الآجل الذى
أعدّه الله لهم فى الآخرة ، وقال تعالى (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون)
أى يساقون إليها لا إلى غيرها والمراد المستمرون على الكفر .

وقال تعالى (فيجعلهم) أى الفريق الخبيث فى جهنم (أولئك هم الخاسرون)
أى الكاملون فى الخسران .

وقال تعالى (ذوقوا عذاب الحريق) أى المحرق والذوق قد يكون محسوساً
وقد يوضع موضع الابتلاء والاختيار .

وقال تعالى (أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) وفى هذه الجملة
الاسمية مع تقديم الظرف المتعلق بالخبر تأكيد لمضمونها . وقال تعالى (والذين
يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ،
يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا
ما كنزتم لأنفسكم فلدوقوا ما كنتم تكنزون) .

والبشارة بالعذاب من باب التهكم بهم وأن النار توقد على ما ذكر من
الأعضاء وهى ذات حى وحر شديد ، وقال تعالى (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)

(٥٠) لم أيقف على رجال سنده فليظنر ا. هـ. من الأصل .

أى مشتملة عليهم من جميع الجوانب لا يجدون عنها مخلصاً ولا يتمكنون من الخروج منها بحال من الأحوال ، وهذا وعيد لهم على ما فعلوا ، وقال تعالى (ألم يعلم أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) أى يخالفهما وأصل المحاددة وقوع هذا فى حدود ذلك فى حد ، وقال تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) أى نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا ينفك عنهم كالزمهري والمعنى يصلونها مقيمين فيها مقدرين الخلود والنار كافيهم جزاء وعقاباً لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها .

وقال تعالى (قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) أى حراً كثيراً فى زمن كبير بل غير متناه أبداً الآبدن ودهر الداهرين ، وقال تعالى (وما أواهم جهنم بما كانوا يكسبون) والمأوى كل مكان يأوى إليه ليلاً أو نهاراً .

وقال تعالى (أفئن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم) والشفا الشفير يقال أشفا على كذا إذا دنا منه وقرب أن يقع فيه والجرف ما ينجر بالسيول وهى الجوانب التى تنحضر بالماء ، وقيل المكان الذى أكل الماء تحته فهو إلى السقوط قريب ، وقيل البئر التى لم تطو ، وقيل هو الهوة ، والاجتراف اقتلاع الشئ من أصله وإطارة الساقط .

قال ابن عباس أى صيرهم نفاقهم إلى النار وجاء بالانهيار الذى هو للجرف ترشيحاً للمجاز ، فسبحان الله ما أبلغ هذا الكلام وأقوى تراكيبه وأوقع معناه وأفصح مبناه ، وقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فيه النهى عن الاستغفار للمشركين الذين هم أهل النار .

وقال تعالى (لهم شراب من حميم وعذاب أليم) وهو الماء الحار الذى قد انتهى حره وكل مسخن عند العرب فهو حميم ، وقال تعالى (أولئك اللذين

ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)
 الآية خاصة بالكفار ، وقال تعالى (ومن يكفر به) أى بالنبي أو القرآن
 (من الأحزاب فالنار موعده) أى من أهل النار لا محالة وفي جعل النار موعداً
 إشعار بأن فيها ما لا يحيط به الوصف من أفانين العذاب .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفس
 محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ومات .
 ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » أخرجه البغوى بسنده .
 قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت
 مصداقه فى كتاب الله حتى بلغنى هذا الحديث فقلت أين هذا فى كتاب الله ؟
 حتى أتيت على هذه الآية .

وقال تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وفيه أن الظلمة
 أهل النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مسها ، وهذا فيمن ركن إلى من
 ظلم فكيف بالظالم نفسه ؟ وقال تعالى (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من
 الجنة والناس أجمعين) أى ممن يستحقها من الطائفتين .

وقال تعالى (أولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها
 خالدون) جمع غل بالضم وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وتشد به اليد
 إلى العنق أى يغلون بها يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلاً بالغل ، وقال تعالى
 (وعقبي الكافرين النار) أى ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك .

وقال تعالى (من ورائه جهنم) أى من بعده وقيل من أمامه (ويسقى
 من ماء صديد) أى ما يسيل من الجلود والخوم ، وهو دم مختلط بقيح .
 يسيل من جلد الكافر ولحمه . وقال مجاهد هو القيح والدم ، وقال القرظى
 هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى
 يتلعه .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعائه حتى يخرج من دبره يقول الله (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعائهم) ، وقال (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهبل يشوى الوجوه بثس الشراب وساءت مرتفقاً) أخرجه أحمد والترمذي واستغربه والنسائي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم في الحلية .

(وبأتية الموت من كل مكان) أى من كل جهة من الجهات الست أو من كل موضع من مواضع بدنه ، والمراد بالموت البلاء الذى يصيب الكافر فى النار سماه موتاً لشدة (وما هو بميت) حقيقة فيستريح وقيل تعلق نفسه فى حنجرتة فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا ، ومثله قوله (لا يموت فيها ولا يحيى) وقيل ما هو بميت لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه (ومن ورائه عذاب غليظ) أى شديد يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه ، قيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الأنفاس .

وقال تعالى (الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) أى قرارهم فيها ، أو بئس المقر جهنم ، والبوار المهلاك ؛ وقال تعالى (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) أى مقدمون إلى النار ، وقيل متروكون منسيون فيها ، وقيل معجلون إليها ، وقيل مسرفون فى الذنوب ، وقرئ بكسر الراء أى مضيعون أمر الله .

وقال تعالى (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أى سجناً ومحبساً لا يخلصون عنها أبداً ، وقيل فراشاً ومهاداً ، وقال تعالى (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) أى ملوماً من الخلق مطروداً من رحمة الله مبتعداً عنها ، وقال تعالى (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) . ومعناه ما تقدم آنفاً ، وقال تعالى (فن تبعك منهم فإن جهنم جزاءكم جزاء مؤفوراً) أى وافرأ مكلاً ، وقيل مؤفوراً بياضهم تجاوزون .

وقال تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) أى أظهرناها حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم ، وفى ذلك وعيد للكفار عظيم لما يحصل لهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة ، وقال تعالى (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) يتمتعون به عند ورودهم ، والنزل المأوى والمنزل ، والمعنى أن جهنم معدة لهم كما يعد المنزل للضيف .

وقال تعالى (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) أى جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب ، وقيل جثياً أى جماعات ، وقال ابن عباس قعوداً . وقال تعالى (وإن منكم إلا واردها) أى النار (كان على ربك حتماً مقضياً) أى أمراً محتوماً لازماً قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه .

وقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار وهى معروفة ، وقال تعالى (ونسوق الجرمين إلى جهنم ورداً) أى مشاة عطاشاً ، قيل يساقون إلى النار يلهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء ، وقال تعالى (إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا) وهذا تحقيق لكون عذابه أبى وقال تعالى (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أى الواضعين الإلهية والعبادة فى غير موضعها .

وقال تعالى (لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) أى لا يقدرّون على دفعها من جانب من جوانبهم ، وقال تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) أى وقود النار وحطبها . وكل ما أوقدت به النار أو هيئتها فهو حصب قاله الجوهري ، وقال أبو عبيدة : كل ما قذفته فى النار فقد حصبتها به ، وقال تعالى (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى عذاب النار المحرقة ، وقال تعالى (أولئك أصحاب الجحيم) أى النار الموقدة :

وقال تعالى (أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار وعدها الله الذين كفروا
 ولبئس المصير) أى الموضع الذى يصيرون إليه ، وقال تعالى (فى جهنم
 خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) أى تحرقها ، والكالح الذى
 قد شممت شفتاه وبدت أسنانه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى الآية قال :
 تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى
 حتى تضرب سرته ، أخرجه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح غريب ،
 وقال تعالى (وماواهم النار ولبئس المصير) أى المرجع .

وقال تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وهى النار المشتعلة ،
 والنار موجودة اليوم لهذه الآية ، وقال تعالى (فكبت وجوههم فى النار) أى
 طرحوا عليها ، وقال تعالى (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى مكان
 يستقرون فيه ، والاستفهام للتقرير ، وهذه فى مواضع القرآن .

قال تعالى (ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) أى النار
 المستعرة وقال تعالى (وأما الذين فسقوا فأواهم النار) أى منزلهم الذى يصيرون
 إليه ؛ وقال تعالى (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً) أى
 بلا انقطاع ، وهذا تأكيد لما استفيد من (خالدين) .

وقال تعالى (ومن يذغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير) . قال أكبر
 المفسرين وذلك فى الآخرة . وقال تعالى : (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
 النار التى كنتم بها تكذبون) أى الدنيا . وقال تعالى (إنما يدعو حزبه ليكونوا
 من أصحاب السعير) أى من أعلى النار ، وقال تعالى (الذين كفروا لهم نار
 جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل
 كفور) . وقال تعالى (هذه جهنم التى كنتم توعدون) أى بها فى الدنيا على
 السنة الرسل ، وقال تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى عرفوا هؤلاء

المحشورين طريق النار وسوقوهم إليها ، وقال تعالى (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) أى فى وسطها .

وقال تعالى (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) أى بعد شرب الحميم وأكل الزقوم . وقال تعالى (ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم)^(٥١) . أى النار شديدة الانتقاد ، وقال تعالى (إلا من هو صال الجحيم) أى من أهل النار ، والصلى الدخول ، وقال تعالى (وإن للطاغين لشر مآب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد) أى الفراش ، وقال تعالى (لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) أى من ذرية آدم ، وقال تعالى (قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) أى مصيرك إليها عن قريب وإنك ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام ، وهو تعليل لقلّة التمتع ، وفيه من التهديد أمر عظيم .

وقال تعالى (أفأنت تنقذ من فى النار) أى حقت عليه كلمة العذاب .

وقال تعالى (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) يعنى مقراً ومقاماً ، والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما فى الحديث الصحيح .

وقال تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى لأجل أنهم مستحقون للنار ، وقال تعالى (وقهم عذاب الجحيم) أى احفظهم منه واجعل بينهم وبينه الوقاية ، وقال تعالى (إن المسرفين هم أصحاب النار) أى المستكثرين من معاصى الله ، وقيل السفاكون للدماء بغير حقها ، وقيل الجبارون المتكبرون ، وقال تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى ذليلين صاغرين ، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ، وقال تعالى (ثم فى النار يسجرون) أى توقد بهم النار أو تملأ

(٥١) المراد به نار الدنيا ، وهو جزء من نار الآخرة . هـ . من الأصل .

وقال تعالى (ادخلوا أبواب جهنم فبئس مثوى المتكبرين) وتقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد) أى دار الإقامة التى لا انقطاع لها ولا انتقال عنها . وقال تعالى (أفمن يلقى فى النار خيراً أم من يأتى آمناً يوم القيامة) الاستفهام للتقرير ، والغرض منه التنبيه على أن الملحدون فى الآيات يلقون فى النار . وقال تعالى (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) أى أهل الإجرام الكفرية . وقال تعالى (أعد لهم جهنم وساءت مصيراً) وقد تقدم نحو هذه الآية .

وقال تعالى (فإننا أعتدنا للكافرين سعيراً) أى النار الشديدة الحر .

وقال تعالى (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) الدع الدفع بعنف وجفوة ، قال مقاتل تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفون إلى جهنم دفعاً على وجوههم ، وقال تعالى (ما أراكم النار هى مولاكم وبئس المصير) أى أن أولى بكم وقيل هى ناصركم على طريقة قول الشاعر :

• نحية بينهم ضرب وجمع . •

وقال تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) تقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى (ولهم فى الآخرة عذاب النار) أى وإن نجوا من عذاب الدنيا ، وقال تعالى (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها) وقال تعالى (وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) .

وقال تعالى (أغرقوا فأدخلوا ناراً) وهى نار الآخرة ، وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضى لتحقيق وقوعه ، ومثله قوله (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) قال تعالى (وأما الفاسقون فكانوا لجهنم حطباً) فيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب فى النار .

وقال تعالى (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً) وقال تعالى (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى ظهرت النار المحرقة لإظهاراً بيناً مكشوفاً

لا يخفى على أحد قال مقاتل كشف عنها الغطاء فينظر إليه الخلق والظاهر أنها تبرز لكل راء :

وقال تعالى (وإذا الجحيم سعرت) أى أجمت وأوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً أو زيد في إحماها .

وقال تعالى (إن الفجار لئى جحيم) أى نار (يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين) وقال تعالى (إن كتاب الفجار لئى يمين وما أدراك ما يمين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين) وفى تفسير (يمين) أقوال ذكرناها فى تفسير فتح البيان وأولاهما ما فسر به سبحانه فى هذه الآية .

وقال تعالى (ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى) أى العظيمة الفظيعة لأنها أشد حرأ من غيرها وهى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا وقال الزجاج هى السفلى من أطباق النار وقيل إن فى الآخرة نيراناً ودركات متفاضلة فكما أن الكافر أشقى العصاة فكذا يصلى أعظم النيران .

وقال تعالى (وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)؛ قال الواحدى قال المفسرون جىء بها يوم القيامة مزومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جئى لركبته يقول يا رب نفسى نفسى ؛

قلت وهذا الذى نقله قد أتى مرفوعاً عن رسول الله ﷺ كما تقدم فى الباب .

وقال تعالى (عليهم نار مؤصدة) أى مطبقة مغلقة الأبواب ؛

وقال تعالى (سندعوا الزبانية) أى الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة

٦٣

جهنم قاله الزجاج وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب ، وقال تعالى (نار
حامية) أى قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية .

وقال تعالى (لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين) أى الرؤية التى هى .
نفس اليقين .

* * *

(باب)

في آيات كريمة وردت في صفة النار وأهلها

قال تعالى (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) المراد بالسيئة هنا الجنس ، ولا بد أن يكون سبها محيظاً به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة ، وسدت عليها مسالك النجاة ، والخلود في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج (١) لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار ، قال الحسن كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة .

وقال تعالى (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) أى عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فإنها شنيعة ، ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها ، وهذا فيه تخويف لهم وتسلية له ﷺ ، وعن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فنزلت هذه الآية . أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه عن داود بن عاصم مرفوعاً وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به الحجة ولا بالذي قبله .

قلت : وأخبار إسلام أبوي النبي ﷺ أضعف من ذلك .

وقال تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله

(١) أكد رأى المعتزلة في عصرنا : الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير المنار وأكدها في كتابنا : « الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام » نشر النهضة العربية . سنة ١٩٧٨ م

والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) واستدل به على جواز لعن الكفار على العموم ، قال القرطبي ولا خلاف في ذلك ، قال ابن العربي إن لعن العاصي المعين لا يجوز باتفاق ، وقال تعالى (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وقال تعالى (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار) . وقال تعالى (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم ببد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قيل هم أهل الكتاب وقيل المرتدون وقيل المبتدعون وقيل الكافرون فيلقون في النار ، وقيل هم المنافقون .

وقال تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) . فيه أنه يكفر من استحل الربا وهذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويجتنبوا محارمه ، وقال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تتأجج أفواههم ناراً . فقيل يا رسول الله من هم ؟ قال ألم تر أن الله يقول الآية . أخرجه بن أبي شيبه وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم .

وعن أبي سعيد الخدري قال حدثنا النبي ﷺ عن ليلة أسرى به قال نظرت فإذا يقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار فيقذف في أحدهم حتى يخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، الآية . أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) والآية في قسمة الموارث فإذا لم يرض فيها لقسمة الله وتعدى حده كفر إذا لم يتب .

وقال تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) أى كلما احترقت جلودهم أعطيناهم مكان كل جلد محترق جلوداً آخراً غير محترق ، فإن ذلك أبلغ في العذاب للشخص ، وقيل المراد بالجلود السراويل ، ولا موجب لترك المعنى الحقيقى هنا قال ابن عمر يبدلون جلوداً بيضاء مثل القراطيس وتقدم هذه الآية في الباب السابق .

وقال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) إلى قوله (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة فقالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) .

وقال تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أحرأهم لأولادهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) قال السدى يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين ، والجوس الجوس ، تلعن الآخرة الأولى ولكل طائفة منهم ضعف من العذاب : أما القادة فكفرهم وتضليلهم ، وأما الأتباع فكفرهم وتضليلهم ، قاله الكرخى .

وقال تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون)

وهذه المناداة لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به بل لقصد تبيكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم ، عن ابن عمر أن النبي ﷺ لما وقف على قلب بدر تلا هذه الآية أخرج ابن أبي شيبه وأبو الشيخ وابن مردويه .

وقال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يحدون) .

قال ابن عباس ينادى الرجل أخاه فيقول يا أخي أغثنى فإني قد احترقت فأفرض على من الماء فيقال أجه فيقول (إن الله حرمهما على الكافرين) ومعنى ننسأهم تركهم في النار ، وقال مجاهد تؤخرهم جوعاً عطاشاً وقيل تفعل بهم فعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً . قال ابن عباس نسيم من الخير ولم ينسهم من الشر ، وسمى جزاء نسيانهم بالنسيان مجازاً لأن الله لا ينسى شيئاً .

وقال تعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الحريق) أى جهة الأمام وجهة الخلف يعنى أستاهم ، كنى عنها بالأدبار ، وقيل ظهورهم بمقامع من حديد وهذا نص فى أن ملائكة الموت عند قبضها لروح الكافر تضربه بما ذكر وتقول له ما ذكر ، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه ، واختلفوا فى وقت هذا الضرب ، فقيل يكون عند الموت تضربهم بسياط من نار ، وقيل هو يوم القيامة حين يسرون بهم إلى النار .

وقال ابن جريج : يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر .

وقال تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى النار توقد

عليها وهي ذات حمى وحر شديد ، وخص الثلاثة لأن التألم بكيها أشد لما في داخلها من الأعضاء الشريفة ، وقيل ليكون الكى في الجهات الأربع ، من قدام وخلف وعن يمين ويسار ، وقيل لأن الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين ، والإنسان إنما يطلب المال للقوة والجمال ، وقيل غير ذلك مما لا يخلو عن تكلف وبعد .

وقال تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ، ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلاماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) المراد بالسيئة إما الشرك أو المعاصي والرهق الغشيان . والذلة الخزي والهوان ، والقطع بفتح الطاء جمع قطعة أى طائفة من الليل ، فقيل ظلمة آخر الليل وقال الأنخفش سواد الليل .

وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر في السنة من خروج عصاة الموحدين . وقال تعالى (يقدم قومه) أى فرعون (يوم القيامة) أى يصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار ، كما كان يتقدمهم في الدنيا (فأوردهم النار وبئس الورد المورود) أى المدخل المدخول فيه وهو النار (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أى طرداً وإبعاداً من الاسم بعدهم يوم القيامة (بئس الرفد المرفود) أى العون المعان ، أو العطاء المعطى .

وقال تعالى (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال الزجاج : الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً .

قال وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير ، والشهيق آخره ، وقيل الزفير للحمار والشهيق للبعل ، وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف ، وقيل الزفير لإخراج النفس والشهيق ردها ، وقيل الزفير من الصدر والشهيق من الحلق . وقيل

الزفير ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تنفخ منه الأضلاع ،
والشهيق النفس الطويل الممتد أو رد النفس إلى الصدر ، والمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر
فيه روحه .

وقال الليث : الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد
من النفس ويخرجه ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس ، وهو قريب من قولهم
تنفس الصعداء .

واختلف أهل العلم في معنى هذا التوقيت والاستثناء اختلافاً شديداً ،
لأنه قد علم بالأدلة القطعية تأييد عذاب الكفار في النار وعدم انقطاعه عنهم ،
والكلام على ذلك بطول جداً ، فارجع إلى تفسيرنا فتح البيان ففيه ما يشفي
ويكفي لفهم هذا المقام .

وقال تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من
قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع
الحساب) المراد بالمجرمين المشركون . ومعنى مقرنين مشدودين يجعل بعضهم
مقرونًا مع بعض أي بحسب مشاركتهم في العقائد ، أو قرنوا مع الشياطين
أوجعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم ، والمقرن من جمع في القرن ، وهو الحبل
الذي يربط به ، والأصفاد الأغلال والقيود ، قاله قتادة .

وقال ابن عباس الكبول، وعنه يقول في وثاق . وقال سعيد بن جبير
السلاسل والسرايل القمص ، قاله السدي ، وعن ابن زيد مثله واحدها سرايل
والمعنى قمصانهم من قطران تطلي به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرايل ،
وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولذعه مع نين رائحته ووحشة لونه .

وقال جماعة هو النحاس المذاب، وبه قال عمر وابن عباس قال عكرمة :

هذا القطران يطلى به حتى يشتعل ناراً ، وقال سعيد بن جبير القطر : الصفر ،
والآن الحار ، وعن عكرمة نحوه .

والقطران فيه لغات ، وهو ما يستخرج من الشجر فيطبخ ويطلّى به الإبل
ليذهب جربها لحدته ، وقيل هو دهن ينحلب من شجر الأهل والعرعر
والتوت كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وعو الهناء ، ولو أراد الله المبالغة
في إحراقهم بغير ذلك لقدّر ، ولكنه حذرهم بما يعرفون .

وعن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : النائحة إذا لم تقب
قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب . أخرجه
مسلم وغيره .

ومعنى (تنشى) تعلق أى تضرب النار الوجوه وتخللها ، وقلوبهم أيضاً ،
وخص الوجوه لأنها أشرف ما في البدن ، وفيها الحواس المدركة أعادنا الله منها .

وقال تعالى (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) لها سبعة أبواب لكل باب منهم
جزء مقسوم) أى موعد الغاوين فهم يدخلون من أبوابها ، وإنما كانت سبعة
لكثرة أهلها ولكل باب من الأتباع الغواة نصيب وقدر معلوم متميز عن
غيره ، والجزء بغض الشيء ، والمراد به هنا الحزب والطائفة والفريق ،
وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق .

قال ابن جريج : النار سبع درجات ، وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم
السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة
للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة
للمنافقين . فجهم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك .

والمعنى أن الله تعالى يجزئ أتباع إبليس سبعة أجزاء ، فيدخل كل جزء
وقسم حركة من النار ، والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك

اختلف مراتبهم في النار ، قال الخطيب : تخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع فرق ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات ، فكانت موارد الأبوابة السبعة . ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الأعضاء واحداً ، فجعلت أبواب الجنة ثمانية . ١ . هـ .

أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكر بل الأولى تفويضها إلى جاعلها سبعة وهو الله سبحانه ، إلا أن يرد به خبر صحيح عن رسول الله ﷺ فيجب المصبر إليه .

عن على قال : أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض : فيملى الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى يملئ كلها ، وعن بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل السيف على أمي أخرجه البخاري في تاريخه والترمذي واستغربه . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ في الآية : جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله ، أخرجه ابن مردويه والخطيب في تاريخه .

وقد وردت في صفة النار وأحوالها أحاديث وآثار كثيرة تأتي في محلها .

وقال تعالى (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يقال لهم ذلك عند الموت ، وقد تقدم ذكر الأبواب ، وأن جهنم درجات بعضها فوق بعض ، أي ليدخل كل صنف في الطبقة التي هو موعود بها ، وإنما قيل لهم ذلك لأنه أعظم في الخزي والغم ، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض ، والمراد تكبرهم عن الإيمان والعبادة كما في قوله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقال تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ما أوهم جهنم كلما خبت زداهم سعيراً ، ذلك جزاءهم بأنهم كفروا بآياتنا) وهذا الحشر فيه الوجهان للمفسرين .

الأول : إنه عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم .

الثاني : إنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم حقيقة كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهائته وتعذيبه . وهذا هو الصحيح لقوله سبحانه (يوم يسحبون في النار على وجوههم) .

ولما صح في السنة عن أنس رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أخرج البخارى ومسلم وغيرهما .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركباناً وصنف يمشون على وجوههم ، قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ؟ أما إنهم يبتغون بوجوههم كل حدب وصوب » أخرج أبو داود والترمذى وحسنه البيهقى والحدب : ما ارتفع الأرض .

وفي الباب أحاديث ، والأعمى الذى لا يبصر ، والأبكم الذى لا ينطق ، والأصم الذى لا يسمع ، أى هذه هيئة يبعثون عليها فى أقبح صورة وأشنع منظر ، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع ، مع كونهم مسحوبين على وجوههم . وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع فى قوله (ورأى المحرمون النار) وقوله (دعوا هنالك ثبورا) .

وقوله (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) فالمعنى هنا عمياً لا يبصرون ما يسرهم ، كما لا ينطقون بحجة ، صماً لا يسمعون ما يلد مسامعهم ، وقيل هذا حين يقال لهم اخسثوا فيها ولا تكلمون ، وقيل يحشرون على ما وصفهم ثم تعاد إليهم هذه الأشياء بعد ذلك ، ثم من وراء ذلك المكان الذين يأوون إليه كلما

سكن لهب النار بأن أكلت جلودهم ولحومهم زادهم الله تسعراً وهو التلهب والتوقد أى فتعود ملتبة ومتسعة فإنهم لهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء .

وقد قيل إن فى خبوء النار تخفيفاً لعذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله (لا يخفف عنهم العذاب) وأجيب بأن المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان محسوس بين الخبوء والتسعر ، وقيل لأنها تحبو من غير تخفيف عنهم من عذابهم ، وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى إيلامهم لأن الله تعالى لا يفتر عنهم ، وقيل معناه أرادت أن تحبو ، وقيل نضجت جلودهم واحترقت وأعيدوا إلى ما كانوا عليه وزيد فى سعي النار لتحرقهم أعادنا الله تعالى عنها .

وقال تعالى (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) . السرادق الذى يمد فوق الدار وكل بيت من كرسف أى قطن فهو سرادق ، فارسى معرب ، يقال بيت مسردق ، وقال ابن الأعرابي سرادقها سورها . وقال القتيبي : السرادق : الحجرة التى تكون حول الفسطاط .

والمعنى أنه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيهه ما يحيطهم من النار بالسرادق المحيط بمن فيه ، قال ابن عباس حائط من نار ، وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال سرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار منها مسيرة أربعين سنة ، أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وغيرهم .

وعن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله ﷺ إن البحر هو من جهنم ثم تلا (ناراً أحاط بهم سرادقها) أخرجه أحمد مطولاً ورجاله ثقات قاله فى مجمع الزوائد ورواه البخارى والحاكم وصححه .

وان يطلبوا الإنقاذ من شدة العطش يضربوا ويعذبوا بالحديد المذاب وهو المهل ، قال الزجاج أنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب والصفر ، وقيل هو دردى الزيت أى ما بقى فى أسفل الإناء ووجه الشبه وجود الثخن والرداءة فى كل منهما ، وقال أبو عبيدة والأخفش العكر وكل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس ، وقيل هو ضرب من القطران .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ، أخرجه أحمد والترمذى وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقى فى البعث وعن ابن عباس قال ماء غليظ كدردى الزيت ، وعن ابن مسعود أنه سئل عن المهل فدعا بذهب وفضة فأذابه فلما ذاب قال هذا أشبه شىء بالمهل الذى هو شراب أهل النار ولونه لون السماء غير أن شراهم أشد حرأ من هذا .

وعن ابن عمر هل تدرؤن ما المهل هو مهل الزيت يعنى آخره وأنه إذا قدم إليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته ، والشى الإنضاج بالنار من غير إحراق ، وقوله (مرتفقاً) أى متكأ ، وقيل مجلساً ومنزلاً ، وقيل مجتمعاً وبه قال مجاهد .

وقال تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) أى عاينوها من مسيرة أربعين عاماً وأتقنوا أنهم داخلون وواقعون فيها والمواقعة المخالطة بالوقوع فيها ، وقيل إن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظناً ولم يجدوا عنها معدلاً يعدلون إليه وانصرفاً لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب ، وقيل ملجأ يلجئون إليه ، والمعنى متقارب .

وقال تعالى (ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ، الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون

سمعاً ، أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) .

الصور القرن والنفخ فيه للبعث وهى النفخة الثانية ويكون جمع الخلائق بعد تلاشى أبدانهم ومصيرها تراباً ويكون جمعاً تاماً على أكمل صفة وأبداع هيئة وأعجب أسلوب فى صعيد واحد وفى عرض جهنم لهم وعيد عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والروع والغشاء الغشاء والستر وهو ما غطى الشئ وستره من جميع الجوانب ، والمراد بالذكر الآيات وكانوا لا يقدرون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله لغلبة الشقاوة عليهم ولشدة عدواتهم لها والحسيان الظن ، والنزل الذى يعد للضيف وفيه تهكم بهم كقوله (فبشرهم بعذاب أليم) .

قال ابن الاعرابى تقول العرب ما للفلان عندنا وزن أى قدر لحسته ويوصف الرجل بأنه لا وزن له لخفته وسرعة طيشه وقلة تثبته . والمعنى أنهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله منزلة وقدر .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقرأوا إن شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) أخرجه البخارى ومسلم .

وقال تعالى (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ثم لنعزن أعلم بالذين هم أولى بها صلباً وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) . المعنى نسوقهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء كما كانوا مع شياطينهم

الذين أغورهم وأضلّوهم في سلسلة ثم نحضرهم حول النار من خارجها قبل دخولها أو من داخلها جائين على ركبهم لما يصيبهم من أهوال المواقف وروعة المحاسبة ثم تنزعن من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار ، قال الزمخشري الشيعة هي الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويًا من الغواة .

وقال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) انتهى .

يعنى ينزع من كل طوائف الغي كالروافض والخوارج والنواصب والمقلدة لآراء الرجال والمتبعة للفلاسفة الضلال وغيرهم أعصاهم وأعتاهم ، فإذا اجتمعوا طرحهم في جهنم وهم أولى بصليها أو صليهم أولى بالنار ، وما من أحد مسلماً كان أو كافراً إلا وصالها وداخلها ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً ، وهذه أخوف آية .

وقال تعالى (ومن أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) أى إثماً عظيماً وعقوبة ثقيلة بسبب إعراضه (خالدين فيها وساء لهم يوم القيامة حملاً يوم ينفخ في الصور ويحشر المحرّمين يومئذ زرقاً) المراد بالمحرّمين المشركون والكافرون والعصاة المآخذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم والزرقة الخضرة في العين كعين السنور .

والعرب تشاءم بها لأن الروم كانوا أعدى عدوهم وهم زرق وهي أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب ، وقال الفراء زرقاً أى عمياً وقال الأزهري عطاشاً وهو قول الزجاج ، وقيل إنه كناية عن الطمع الكاذب إذا تعقبه الخيبة ، وقيل هو كناية عن شحوص البصر من شدة الحرص ، والقول الأول أولى . والجمع بين هذه الآية وبين الآية السابقة (عمياً وبكماً وصماً) ما قيل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها صفاتهم ويتنوع عندها عذابهم ، فيكونون في حال زرقاً ، وفي حال عمياً .

وقال تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وزدوها ، وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) وفي هذا تبكيك لعباد الأصنام وتوبيخ شديد لمن يتخذ من دون الله أرباباً ، والزفير هو صوت نفس المغموم والمراد هنا الأنين والبكاء والتنفس الشديد والعويل ، ولا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول : قال ابن مسعود في الآية ، إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت آخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ، وقيل لا يسمعون شيئاً لأنهم يحشرون صماً ، وإنما سلبوا السماع لأن فيه بعض تروح وتأنس ، وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون ما يسوءهم .

وقال تعالى (فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ماني بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) أي قدرت لهم على قدر جثثهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتقطيع ثياب لهم ، وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض . وقيل إنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، وهي السراويل المذكورة في آية أخرى ، قاله سعيد بن جبير وزاد لبس من الآنية إذا حمى أشد حرأ منه .

والحق إجراء النظم القرآني على ظاهره ولا ترتضى تأويله بما يخالف ظاهر لفظه ، وواضح معناه ، والحميم الماء الحار المخلئ بنار جهنم انتهت حرارته يذاب بهذا الحميم ماني بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه تلا هذه الآية ، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فينسلت ماني جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » أخرجه الترمذي والحاكم وصحاحه وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم . وقال

ابن عباس يمشون وأمعاؤهم تنساقط ، وعنه قال : يسقون ماء إذا دخل في بطونهم أذابها والجلود مع البطون ، والمقمعة المطرقة وقيل السوط ، وسميت بالمقامع لأنها تقمع المضروب ، أى تذله .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض ، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان » أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه البيهقي .

وعن سلمان قال النار سوداء مظلمة لا يضيء لها لهبها ولا جمرها ، ثم قرأ (كلما أرادوا) الآية ، والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا إنهم يفضلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب المحرق الغليظ المنتشر العظيم الإهلاك البالغ نهاية الإحراق .

وقال تعالى (والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) أى اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا القرآن شعر أو سحر أو أساطير الأولين أو للتلاوة دون العمل ظانين ومقدين أن يعجزوا الله ويفوتوه ، وقيل معاندين أو مراغمين ومشاقين ، فهم أصحاب النار الموقدة .

وقال تعالى (احسثوا فيها ولا تكلمون) أى اسكتوا في جهنم سكوت هوان ولا تكلمون رأساً ، أو في إخراجكم من النار أو في رفع العذاب عنكم . قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار وما بعد ذلك إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب .

وقال تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) أى إذا رأتهم وهى بعيدة عنهم ، قيل بينها وبينهم مسيرة مائة عام وقيل خمسمائة عام ، وذلك إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأنت على كل بار وفاجر ، فترى

تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدت ، ثم تزفر الثانية فتقلع القلوب من أماكنها وتبلغ القلوب الحناجر وعن رجل من الصحابة قال : قال النبي ﷺ : « من يقل على ما لم أقل أو ادعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً » قيل يا رسول الله وهل لها من عينين ، قال « نعم » أما سمعتم الله يقول (إذا رأتهم من مكان بعيد) . أخرجه عبد بن حميد وابن جرير من طريق خالد بن دريك ونحوه عند رزين في كتابه وصححه بن العربي في قبسه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة .

قال : قال رسول الله ﷺ « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول إنى وكلت بثلاث : كل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين » وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح والتغيظ الغليان إذا غلا صدره من الغضب يعنى أن لها صوتاً يدل على التغيظ على الكفار أو لغليانها صوت يشبه صوت المغتاط ، وتقدم الكلام على زفير .

وقال تعالى (وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين . دعوا هنالك ثبورا ، لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً وادعوا ثبورا كثيراً) .

عن يحيى بن أسيد أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال « والذي نفسى بيده إنهم ليستكروهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط » وعن ابن عباس أنه يضيق عليهم كما يضيق الزجاج في الرمح ، والثبور الهلاك والمراد بهذا الجواب عليهم : الدلالة على خلود عذابهم وإقنابهم عن حصول ما يبتغونه من الهلاك المنجى لهم مما هم فيه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول ما يكسى حلته من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده

وهو ينادى ياثوراه ويقولون ياثور حتى يقف على الناس فيقول يا ثوراه ويقولون يا ثورهم فيقال لهم لا تدعو اليوم ثبوا واحداً وأدعوا ثبوراً كثيراً .

وقال تعالى (فكبكوا فيها) أى ألقوا في جهنم على رؤوسهم وقيل قلبوا على رؤوسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل جمعوا ، قاله ابن عباس ، وقيل طرحوا وقيل نكسوا (هم والغاؤون) أى المعبودون والعابدون (وجنود إبليس أجمعون) وقال تعالى (ولكن حق القول منى لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) هذا هو القول الذى وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه ، وإنما قضى عليهم بهذا لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة وأنهم ممن يختار الضلالة على الهدى .

وقال تعالى (يوم تقلب وجوههم فى النار) يعنى تقلبها تارة على جهة منها وتارة على جهة أخرى ظهراً لبطن ، أو تغير ألوانهم بلفح النار فتسود تارة وتختصر أخرى أو تبدل جلودهم بجلود أخرى ، وخص الوجه لأنه أكرم موضع من الإنسان أو يكون الوجه عبارة عن الجملة .

وقال تعالى (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أى جعلت الأغلال من الحديد فى أعناق هؤلاء فى النار .

وقال تعالى (وهم بصطرخون فيها) من الصراخ وهو الصياح ، أى وهم يستغيثون فى النار رافعين اصواتهم ، والصارخ المستغيث ، وقال تعالى (هذه جهنم التى كنتم توعدون أصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ، اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أى توعدون بها فى الدنيا على ألسنة الرسل فادخلوها وقاسوا حرها .

قال المفسرون : إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل فيختم الله على أفواههم ختماً لا يقدرّون معه على الكلام ، وتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه ،

وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملونه باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم .

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبخاري وغيرهم عن أنس في الآية قال : كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ، قال أتدرون مما ضحكتم ؟ قلنا لا يا رسول الله ، قال من مخاطبة العبد ربه ، يقول يارب ألم تجزني من الظلم ؟ فيقول بلى ، فيقول إني لا أجيز على إلا شاهداً مني ، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنتطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وصحفاً . فعنكن كنت أناضل .

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : يلتقي العبد ربه فيقول الله - ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأخبرك الخيل والإبل وأذكرك رأساً وتربيعاً ؟ فيقول : بلى أي رب ، فيقول أظننت أنك ملاقي ، فيقول لا ، فيقال إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلتقي الثاني فيقول له مثل ذلك ، ثم يلتقي الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدق ، وبني بخير ما استطاع ، فيقول ألا نبعث شاهداً عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد على ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي ، فتنتطق فخذه وفه وعظامه بعمله ما كان ، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط عليه .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى نحوه .

قال تعالى (قل أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ؟ إنا جعلناها فتنه للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فالثون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) .

قال الواحدى : الزقوم شىء مر كربه يكره أهل النار على تناوله فهم يتزقونه فهى على هذا مشتقة من الزقم وهو البلع على جهد لكرهتها ونتاجها . قال قطرب : إنها شجرة مرة كريهة الرائحة تكون بهامة من أحبب الشجر . وقال غيره : بل هو كل نبات قاتل ، وقيل شجرة مسومة متى مست جسد أحد تورم فأت جعلها الله محنة لهم لكونهم يعذبون بها ، والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصى الموجبة للنار ، وهذه الشجرة تثبت فى قعر النار ، وأسفلها وأغصانها ترفع إلى دركاتها .

وعن ابن عباس قال : لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الأرض لأفسدت على الناس معاشهم ، وتمرها وما تحملها فى تنهى قبحة وهو له وشناعة منظره مثل رعوس الشياطين ، قال الزجاج والفراء : الشياطين حيات هائلة لها رعوس وأطراف وهى من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسماً ، وقيل هو شجر خشن متن مر منكر الصورة يسمى ثمرة رعوس الشياطين ، والشوب الخلط والمزج ، والحميم الماء الحار ، وهذا كما قال تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) وقيل إن الزقوم الحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها أعادنا الله تعالى وإخواننا المؤمنين من هذا الطعام والشراب .

وقال تعالى (فليذوقوه حميم وغساق) تقدم تفسير الحميم مراراً ، والغساق ما سأل من جلود أهل النار من القيح ومن الصديد ، والغسق الانصباب وقيل هو ما قتل برده ، وقيل هو الزمهرير وقيل المتن وقيل هو عين فى جهنم يسيل منه كل ذوب حية وعقرب وقال قتادة : هو ما يسيل من فروج النساء الزوانى ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم .

وقال القرظى : هو عصارة أهل النار . وقال السدى هو الذى يسيل من دموع أهل النار يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد ، وقال مجاهد ومقاتل : هو الثلج البارد الذى انتهى برده ، وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب وأنسب أيضاً بمقابلة الحميم .

وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لو أن دلواً من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا . قال الترمذي لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد (قلت) ورشدين هذا فيه مقال معروف (وآخر من شكله أزواج) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر أو نوع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الأول والشكل المثل أو مذوقات آخر وأنواع آخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم . ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه ونظائر ، قال المفسرون هو الزمهير .

(هذا فوج مقتحم معكم) أى الأتباع داخلون معكم إلى النار بشدة ، والافتحام الإلقاء فى الشيء بشدة . فإنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع ، وقيل الافتحام ركوب الشدة والدخول فيها .

وفى المختار قحم فى الأمر رى بنفسه فيه من غير روية (لا مرحباً بهم) أى لا اتسعت منازلهم فى النار ، والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم ، وهذا إخبار من الله بانقطاع المودة بين الكفار وأن المودة التى كانت بينهم تصير عداوة (إنهم صالوا النار) أى كما صليناها (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم) أى قال الأتباع عند سماع ما قاله الرؤساء والقادة ، بل أنتم أحق بما قلتم لنا ، ثم عللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) أى العذاب أو الصلى وأوقعتمونا فيه ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه ، وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به (فبئس القرار) أى بئس المقر جهنم لنا ولكم (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً فى النار وقالوا ما لنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار) أى الأراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى (أتخذناهم سخرية) فى الدنيا فأخطأنا (أم زاعجت عنهم الأبصار) فلم نعلم مكانهم

« إن ذلك) أى ما تقدم من حكاية حالهم (لحق) واقع ثابت فى الدار الآخرة لا يتخلف البتة (تخاصم أهل النار) .

وقال تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار من وتحتهم ظلل) أى أطباق من النار وفراش ومهاد وسرادقات وقطع كبار من النار تتلهب عليهم ، وإطلاق الظلل عليها تهكم وإلا فهى محرقة ، والظلة تبنى من الحر وقال تعالى (ولو أن الذين ظلموا ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وفى هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها ، قال سفيان الثورى : ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء ، هذه آياتهم وقصصهم .

وقال تعالى (وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) أى لما أحاط بهم من العذاب ، ولما شهدوا من غضب الله ونقمته .

وقال تعالى (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب ، وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) قيل أى لهم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) جهنم واللام فيه للجنس :

وقال تعالى (النار يعر ضون عليها غدواً وعشياً) أى صباحاً ومساءً ، وعرضهم عليها لإحراقهم بها .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فن أهل النار ، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله

إليه يوم القيامة» أخرجه الشيخان وغيرهما ، وزاد ابن مردويه ثم قرأ (النار) الآية .

واحتج بعض أهل العلم بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه. وقال القرظي إن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها .
وذهب الجمهور إلى أن هذا العرض هو البرزخ .

وقال تعالى (قال الذين في النار) أى من الأمم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعاً (لخزنة جهنم) وهم القائمون بتعذيب أهل النار ، وإنما لم يقل لخزنتها ، لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيحاً أو لبيان محلهم فيها ، فإن جهنم هي أبعد النار قعراً وفيها أعنى الكفار وأطغاهم ، فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم أهل النار لطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، قالوا أو لم تلك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى ، قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى في ضياع وبطلان وخسارة وتبار وانعدام وفيه إقنات لهم عن الإجابة .

وقال تعالى (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم) قال ابن عباس : فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه ، حتى إن لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعاً ثم يكسى جلدأ آخر (ثم في النار يسجرون) .

عن ابن عمرو قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية فقال : لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن يبلغ أصلها ، أو قال

قعرها . أخرجه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه
والبيهقى فى البعث والنشور .

وقال تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أى يحبس
أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجمعوا حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا من المعاصى ، وفى كيفية
هذه الشهادة ثلاثة أقوال :

أولها : أن الله يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل
على ما يعرفه .

ثانيها : أنه تعالى يخلق فى تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة
على تلك المعانى .

ثالثها : أن يظهر فى تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال
من ذلك الإنسان وتلك الأمارات تسمى شهادات (وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه
ترجعون وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم
أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعذبوا
فما هم من المعتبين) أى إن يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم بل لا بد لهم النار ،
وتمام الكلام على هذه الآية فى تفسيرنا « فتح البيان » .

وقال تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبد الله بن عمرو
قال خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان
الكتابان؟ قلنا لا . إلا أن تخبرنا يا رسول الله ، قال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب
من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجلى على آخرهم ،
فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم .

ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آباؤهم وقبائلهم ثم أجل آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال سدودوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يتختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل، وإن صاحب النار يتختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل . قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب^٦ وأحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، وروى ابن جرير طرفاً منه موقوفاً على ابن عمرو قال هذا الموقوف أشبه بالصواب ، قال الشوكانى بل المرفوع أشبه به فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقول الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتاب ينظر فيه قالوا انظروا إليه كيف وهو أى لا يقرأ ؟ قال فعلمه رسول الله ﷺ فقال هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم وقال (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) ، فرغ ربكم من أعمال العباد . انتهى .

قلت : وأيضاً لا يقال مثل هذا من قبل الرأى .

وقال تعالى (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) أى آيسون من النجاة وقيل ساكتون سكوت بأس ، قال تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أى بالموت (قال إنكم ما كاثون) أى مقيمون فى العذاب ، هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك ، قال الخازن سكوت عن إجابتهم أربعين سنة انتهى ، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً

(*) إذا كان هذا صحيحاً فلم العمل ؟ ولماذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وجعل الجنة والنار ؟ هذا حديث ضعيف .

واليوم كألف سنة مما تعدون ، قاله القرطبي وقيل ثمانين سنة ، وقيل مائة سنة ، وقال ابن عباس يمكث عنهم ألف سنة .

وقال تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم) تقدم تفسير مثل هذه الآية .

وقال تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) الإثم أى لكل كذاب كثير مرتكب لما يوجبه ، وويل واد في جهنم أو كلمة عذاب .

وقال تعالى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون . في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) عرض الشخص على النار أشد في إهائه من عرض النار عليه إذ عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المخلوق للاحتراق ، وقيل في الكلام قلب أن تعرض النار عليهم ، ومعنى يعرض يعذب ، والهون ما فيه ذل وخزى ، وما أخوف هذه الآية في شأن المترفين المتكبرين عن عبادة الله الخارجين عن طاعته بفعل السيئات والمعاصي والمستمتعين باللذات الفانية من المناكح والملابس والمراكب والمساكن النفيسة .

وقال تعالى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار ، وفي الاكتفاء بمجرد الإشارة من التهويل من المشار إليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى ، كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه .

وقال تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) أى مصارينهم فخرجت .

من أدبارهم لفرط حرارته ، وقال تعالى (الظالمين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً) وهذا إخبار عن وقوع السوء بهم على ظنهم أن كلمة الكفر تعلق كلمة الإسلام .

وقال تعالى (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلهاً آخر فآلقياه في العذاب الشديد ، قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ، قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) الخطاب للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو الواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره ، والمعنى كفار للنعم بجانب للإيمان معاد لأهله ، ولا يبذل خيراً ولا يؤدي زكاة مفروضة أو كل حق وجب عليه في ماله ، ظالم لا يقر بتوحيد الله شاك في الحق ، وفيها نهى عن الاختصاص في مواقف الحساب ونفى الظلم عن الله تعالى على العباد ، ولا مفهوم لقوله ظلام* .

وقال تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) جعله الرمنشري ومن تبعه من باب المجاز وهو مردود لما ورد : تجاجت النار والجنة واشتكت إلى ربها . قال النسفي هذا على تحقيق القول من جهنم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزال جهنم تلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم في فضول الجنة » أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم ، وأخرجنا من حديث أبي هريرة نحوه وفيه : « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله ويقول لها قط قط » وفي الباب أحاديث ، ومذهب

(*) على طريقة المشاكلة . الله يقرب المعاني إلى عقول الناس حسبما يستطيعون الفهم .

جمهور السلف بالإيمان بالقدم والرجل من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ، وإمرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه .

قال تعالى (يوم هم على النار يفتنون) أى يحرقون ويعذبون فيها ، وأصل الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في التعذيب والإحراق ، وقال تعالى (إن المجرمين في ضلال وسعر اليوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) أى في ذهاب عن الحق وبعد عنه ، وفي نار تسعر عليهم ، وسقر علم لجهنم غير منصرف ومسها مقاساة حرها وشدة عذابها .

وقال تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام) المعنى أنها تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي وتلقبهم الملائكة في النار ، قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره ، وقيل تسحبهم الملائكة تارة إلى النار بأخذ النواصي وتارة تجرهم على الوجوه وتارة بأخذ أقدامهم ، وتارة تجرهم على رؤوسهم ، قال ابن عباس تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الخطب في التنوير .

وقال تعالى (يطوفون بينها) أى بين جهنم فتحرقهم (وبين حميم آن) أى فيصيب وجوههم فيحرقون ، والآن الذى قد انتهى حره وبلغ غايته وقيل هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه بأغلالهم حتى تنخلع أوصالهم ، قال قتادة يطوفون أى يترددون ويسعون مرة في الحميم ومرة في الحميم ومرة بين الحميم .

وقال تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من

(*) رأى السلف هو التنزيه وما ورد من القدم والرجل يحمل على المجاز أى أمر الله وإذا لم يكن هذا رأى السلف فهل اعتقدوا أن عيننا الله مثبتة في سفينة نوح وأن السفينة حرت بهما على الماء كما يقول « تجرى بأعيننا » ؟ .

يحموم لا بارد ولا كريم لأنهم كانوا قبل ذلك مترفين (السموم حر النار وتقدم تفسير الحميم مراراً واليحموم الشديد السواد ، والمعنى أنهم يفرعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد. قال الضحاك النار سوداء وأهلها سود كل ما فيها أسود ، قال ابن عباس يحموم دخان أسود ، وفي لفظ دخان جهنم ، وقيل واد في جهنم وقيل اسم من أسمائها والأول أظهر .

والنعتان لقوله ظل . لا ليحموم وهذا الظل أشجى لخلقهم وأشد لتعسرهم ، وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب دائماً وفيها ذم الترفه لأنه منعهم من الانزجار ، وشغلهم عن الاعتبار .

وقال تعالى (ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فالثون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين) وتقدم تفسير هذه الآية ، والهيم الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها .

وفي الصحاح الهيام أشد العطش ، والنزل الرزق والغذاء وفي هذا تهكم بهم لأن النزل هو ما يعد للأضياف تكريمة لهم ، ومثل هذا قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) وقال تعالى (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ، إن هذا هو حق اليقين) أي محضمة وخالصة ، والمعنى واضح .

وقال تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أي في الفضل والرتبة (أصحاب الجنة هم الفائزون) أي الظافرون بكل مطلوب . الناجون من كل مكروه ، وهذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إثثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهم وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الدائم الأليم مع أصحاب النار ، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه .

وقال تعالى (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا: وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير) .

المعنى : إذا طرحوا طرح الحطب في النار سمعوا لها صوتاً منكراً ، كصوت الحميم عند أول نهيقها وهي تغلي غليان الرجل بما فيه ، تكاد تنقطع من الغيظ على الكفار ، وكلما ألقى في جهنم جماعة منهم سألهم ملائكة النار عما ذكر في الآية .

وقال تعالى (نخذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون) . قال المفسرون السلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ، والله أعلم بأى ذراع هي ، وقيل بذراع الملك ، قال نوف الشامي كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد ما بينك وبين مكة ، وكان نوف في رجب الكوفة قال مقاتل لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص ، وقال ابن جريج لا يعرف قدرها إلا الله ، وهذا العدد حقيقة أو مبالغة قال سفيان بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه .

وقال سويد بن أبي نجيح بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة ، والغسلين صديد أهل النار وما ينغسل من أبدانهم من القيح والصديد وقال أهل اللغة هو ما يجري من الجراح إذا ما غسلت وقال الضحاك والربيع بن أنس هو شجر يأكله أهل النار ، وقال قتادة هو شر الطعام وقال ابن زيد لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم إلا الله تعالى .

وقال ابن عباس الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم ،

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال لو أن دلواً من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا أخرجه الحاكم وصححه وعن ابن عباس أيضاً الغسلين اسم طعام من أطعمة أهل النار .

والتوفيق بين ما هنا وبين قوله إلا من ضريع ، وقوله الزقوم وقوله ما يأكلون في بطونهم إلا النار ، إنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع والمعدبين طبقات . فمنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة النار ، لكل منهم جزء مقسوم .

وقال تعالى (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بدينه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه ، كلا إنها لظي نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ، وجمع فأوعى) . لظي علم لجنهم وهو التلهب ، وقيل هي الدركة الثانية من طباق جهنم ، والشوى الأطراف وجلدة الرأس ومكارم الوجه وحسنه .

قال قتادة تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئاً . وقال الكسائي هي المفاصل ، وقال أبو صالح هي أطراف اليدين والرجلين ، وقال ابن عباس تنزع أم الرأس . وفي هذا ذم لمن أدبر عن الحق وأعرض عنه وجمع المال فأوعاه وكثره ولم ينفقه في سبيل الخير . ولم يؤد زكاته .

وقال تعالى (إن لدينا أنكالا وججيا وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً) جمع نكل وهو القيد وقيل الغل من الحديد والأول أعرف في اللغة ، قال مقاتل هي أنواع العذاب الشديد وطعام لا يسوغ في الحلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج قيل هو الزقوم ، وقيل الضريع وقيل شوك العوسج ، والغصة الشجي في الحلق .

وقال تعالى (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبق ولا تذر لواحة

البشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . السقر النار أو من أسمائها أو دركة منها ، لا تبقى لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً ، أو لا تبقى من فيها حياً ولا تذر ميتاً ، تظهر لهم وتلوح حتى يروها عيانا كقوله (وبرزت الجحيم لمن يرى) وقيل لواحة مغيرة لهم ومسودة وهذا أرجح من الأول وإليه ذهب جمهور المفسرين وقيل معطشة .

وقال ابن عباس تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير أسود من الليل وعنه محرقة والمراد بالبشر إما جلدة الإنسان الظاهرة كما قاله الأكثر أو المراد به أهل النار من الإنس كما قال الأخفش ، وعلى النار تسعة عشر من الملائكة خزنها أو من أصناف الملائكة أو من صفوفهم ، وقيل تسعة عشر نقيباً مع كل نقيب جماعة من الملائكة والأول أولى .

قال الرازي وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها .

وقال تعالى (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) . والصحيح أن هذه الآية في الكفار ، قاله سليمان الجمل .

وقال تعالى (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيراً) تقدم تفسير هذه الأمور الثلاثة ، وعن يعلى بن منية وهي أمه ، وأبوه أمية رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ينشئ الله سبحانه لأهل النار سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار أى شيء تطلبون فيذكرون بها بحابة الدنيا فيقولون ربنا الشراب فتمطرهم أغلالا يزيد في أغلالهم وسلاسل في سلاسلهم ، وجمراً تلهب عليهم رواه الطبراني في الأوسط ، قال في مجمع الزوائد وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

وقال تعالى (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من

الذهب إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ، ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون (أى يقول لهم خزنة جهنم انطلقوا
إلى ظل من دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ
من الحساب ، وهذا شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب شعباً وقيل المراد
بالظل هنا السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم ، وهو الظل من يحوم ،
وقيل إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لأنها أوصاف النار
وكل شررة منها كالقصر في عظمها ، ثم شبه الشرر باعتبار لونه بالجمال أو
الجبال .

قال ابن مسعود ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون .

وقال تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً لا بين فيها أحقاباً
لا يدوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً) أى جهنم
موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها أو هي في نفسها
متطلعة لما يأتي إليها من الكفار ، والأحقاب الدهور جمع حقب قال الواحدى
قال المفسرون إنه بضع وثمانون سنة ، السنة ثلاثمائة وستون يوماً ، اليوم ألف
سنة من أيام الدنيا ، وروى مرفوعاً من حديث أبي هريرة عند الطبرانى
وغيره وسنده ضعيف قاله السيوطى ، وفي الباب أحاديث ذكرناها في فتح
البيان .

والمقصود بالآية التأييد لا التقييد ، قال الحسن والله ما هي إلا أنه إذا
مضى حقب دخل آخر كذلك إلى الأبد .

وقال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى)
أى أنها منزله الذى ينزله لا غيرها .

وقال تعالى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثوراً ويصلى
سعيراً) أى ينادى هلاكه ويدخل النار ويقاسى حرها وشدتها .

وقال تعالى (تصلى ناراً حامية) أى متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية)
التي انتهى حرها (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه
دابة نخبته يقال له الشبرق فى لسان قريش إذا كان رطباً ، فإذا يبس فهو
الضريع ، قيل وهو سم قاتل وقيل هو الحجارة وقيل الشجرة فى نار جهنم ،
وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون وقيل هو الزقوم وقيل
وادي جهنم وقال الحسن هو بعض ما أخفاه الله من العذاب (لا يسمن ولا
يعنى من جوع) أى كلاهما منفيان عنه .

وقال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) قال مجاهد وأبو العالية والحسن
المعنى ثم رددنا الكافر وذلك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض فالكافر
يرد إلى أسفل الدرجات السافلة ، ولا ينافى هذا قوله تعالى (إن المنافقين فى
الدرك الأسفل من النار) فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين فى ذلك
الدرك الأسفل .

وقال تعالى (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم
خالدين فيها أولئك هم شر البرية) وظاهر الآية العموم وقيل هم الذين عاصروا
الرسول ﷺ والأول أولى ، وشر أفعال تفضيل ، وفى هذا تنبيه على أن
وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد .

وقال تعالى (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هية نار
حامية) أى فسكنه جهنم وسماها أمه لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه ، والهاوية
من أسماء جهنم وسميت بها لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا مات المؤمن
تلقت أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فإذا كان مات ولم
يأتهم قالوا خولف به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المريبة . أخرجه ابن

مردويه وأخرج من حديث أبي أيوب الأنصاري نحوه أيضاً وابن المبارك من حديثه نحوه أيضاً .

وقال تعالى (ثم لترونها عين اليقين) وهي المشاهدة والمعابنة قيل هو إخبار عن دوام بقائهم في النار أى هي رؤية دائمة متصلة وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها .

وقال تعالى (كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة إنها عليهم موصدة فى عمد ممددة) والمعنى ليطرحن فى النار وليلقين فيها وسميت حطمة لأنها تحطم كل ما يلقى فيها وتهشمه ، قيل هى الطبقة السادسة من طبقات جهنم وقيل الطبقة الثانية وقيل الرابعة ، وهذه النار يخلص حرها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الأفئدة مع كونها تغش جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة ، أو لكونه إذا وصل إليها مات صاحبها أى أنهم فى حال من يموت وهم لا يموتون ، وقيل المعنى أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بأمارات عرفها الله بها وأنها عليهم مطبقة مغلقة وهم موثوقون فى عمد ممددة .

قال مقاتل أطبقت الأبواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ، ومعنى ممددة مطولة ، وقيل العمدة أغلال فى جهنم وقيل قيود .

وقال تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب) أى سيصلى هو بنفسه ناراً ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم أجازنا الله منها برحمته وكرمه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وهذا آخر الآيات الكريمة الواردة فى أحوال جهنم وأهوال النار

وذكر أصحابها وبقيت آيات مكررة جاءت في ذلك ولا حاجة تدعوا إلى إيرادها في هذا الكتاب المبني على الاختصار .

قال القرطبي في التذكرة «أبواب جهنم وما جاء فيها وفي أهوالها وأسمائها» انتهى ثم ذكر ذلك في أبواب متفرقة وأتى بأحاديث وآثار وردت في هذه الأبواب فيها أناذاأحدوحدوه في تحرير ذلك مع زيادة على ما ذكره وحذف لما تكرر وتقدم في بابي الآيات مع الإشارة إليه لئلا يطول ذيل الكلام وبالله الاعتصام .

* * *

(باب)

ما جاء في أن النار لما خلقت فزعت منها
الملائكة حتى طارت أفئدتها

عن محمد بن المنكدر قال : لما خلقت النار فزعت الملائكة وطار
أفئدتها ، فلما خلق آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون ، أخرجه ابن
المبارك ، وقال ميمون بن مهران لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة لم يبق
في السموات السبع ملك إلا خر على وجهه ، فقال لهم الجبار جل جلاله ارفعوا
رءوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقته جهنم لأهل معصيتي
من خلقي فقالوا ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى (وهم من
خشيتهم مشفقون) فالنار عذاب الله فلا ينبغي لأحد أن يعذب بها وقد جاء النبي
عن ذلك فقال لا تعذبوا بعذاب الله

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أنذرتكم النار
أنذرتكم النار فما زال يقولها حتى لو كان في مقامى هذا سمعه أهل السوق وحتى
سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه ، رواه الدارمي .

وعن يزيد بن سورة قال : رأيت عبادة بن الصامت وهو على حائط
المسجد المشرف على وادي جهنم واضعاً صدره عليه وهو يبكي فقلت أبا الوليد
ما يبكيك قال هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى فيه جهنم ،
رواه الطبراني قال في مجمع الزوائد ويزيد لم أعرفه وفيه ضعفاء قد وثقوا .

وعن عمر أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ حزينا لا يرفع رأسه
فقال له رسول الله ﷺ مالي أراك يا جبريل حزينا قال إني رأيت لفحة من

جهنم فلم ترجع إلى روحى بعد ، رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه على بن خلق وهو ضعيف .

وعن عمر بن الخطاب قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل ما لى أراك متغير اللون ؟ فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لى النار وانعت لى جهنم ، فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا تضىء شررها ولا يطفى لهيها والذى بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعاً من حره .

والذى بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من فى الأرض كلهم من قبح وجهه ومن تن ريمه والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنهى إلى الأرض السفلى .

فقال رسول الله ﷺ حسبى يا جبريل لا يتصدع قلبى فأموت قال فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت فيه ؟ فقال وما لى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به إيايس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، قال فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل فما زال يبكيان حتى نودى أن يا جبريل ويا محمد إن الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل .

وخرج رسول الله ﷺ فر يقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا وبكىكم

كثيراً ولما استسغم الطعام والشراب وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فنودي يا محمد لا تقنط عبادي إنما بعثتك ميسراً ولم أبعثك معسراً ، فقال رسول الله ﷺ « سدّدوا وقاربوا » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه ؟ كذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد .

(باب)

ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

عن زيد بن أسلم قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه إسرافيل فلما سلما على النبي ﷺ فإذا إسرافيل منكسر الطرف فقال النبي ﷺ يا جبريل مال إسرافيل منكسر الطرف متغير اللون قال لاحت له أنفا حين هبط لمح من جهنم فذلك الذي يرى كسر طرفه ، رواه بن وهب .

وعن محمد بن مطرف عن الثقة أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت ، فلما دخل النبي ﷺ اعتنقه الفتى فخر ميتاً فقال النبي ﷺ جهزوا صاحبكم فإن الفرع من النار فلذ كبدكم رواه ابن المبارك .

وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان وعليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام ما الذي غير ألوانكن معاشر النسوة قلن فإن ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم إن من دخل النار لا يذوق فيها برداً ولا شرباً ذكره الخرائطي في كتاب النشور .

وروى أن سلمان الفارسي لما سمع قوله عز وجل (إن جهنم لموعدهم أجمعين) فر ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل فجاء به إلى النبي ﷺ فسأله فقال له يا رسول الله أنزلت هذه الآية (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي فأنزل الله تعالى (إن المتقين في جنات وعيون) الآية . ذكره الثعلبي وغيره والله أعلم بأسانيدها ولم يتكلم عليها القرطبي في التذكرة .

(باب)

ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار بالله من النار قالت النار اللهم أجره من النار. أخرجه الترمذى ، وعن أبي سعيد الخدرى أو عن أبي حنيفة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أحدهما حدثه عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرنى من حر جهنم ، قال عز وجل لجهنم إن عبداً من عبادى استجار بى منك وإنى أشهدك أنى قد أجرته .

وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم ، اللهم أجرنى من زمهرير جهنم ، قال الله عز وجل لجهنم إن عبداً من عبادى استجار بى من زمهريرك وإنى أشهدك أنى قد أجرته. فقالوا وما زمهرير جهنم قال جب يلتقى فيه الكافر قد تميز من شدة برده بعضه من بعض ، رواه البيهقى .

قال القرطبي فى التذكرة تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة عن النيران وذلك يكثُر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغنى عن ذكر ذلك ، وبكفيك الآن من ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . « ما من عبد يصوم يوماً فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » قلت الحريف السنة .

وأخرج النسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » وأخرج الترمذي عن أبي أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين المشرق والمغرب ، ويروى كما بين السماء والأرض ، هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة .

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة مائة عام ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بوعد من جهنم سبعين خريفاً . قلت يا أبا حمزة ما الخريف قال العام رواه أبو داود في كتابه ، وعن عدى بن حاتم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .

(باب)

احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال تعالى لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ، رواه البخاري ومسلم والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

قال الحاكم أبو عيسى في علوم الحديث سئل محمد بن إسحاق ابن خزيمة عن هذا الحديث من الضعيف قال الذي يبرئ نفسه من الحول والقوة يعني في اليوم واللييلة عشرين مرة أو خمسين مرة ، قال القرطبي ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع والله أعلم . وأما المساكين فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار إليهم في قوله ﷺ : اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنى في زمرة المساكين : ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زى مسكين
ذاك الذي عظمت في الله رغبته وذاك يصلح للدنيا وللدين

* * *

(باب)

في صفة النار وفي شرار الناس من هم

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته أهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له (٥٢) الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالا ، والخائن الذي لا يخفى (٥٣) له طمع وإن دق إلا سخانه ، ورجل يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخيل والكذب والشظير الفحاش. أخرجه مسلم بطوله ، وعن حارثة بن وهب الخزازي قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ، وفي رواية زعيم متكبر ، أخرجه مسلم وابن ماجه ، والجواظ الغليظ ، وقيل الجاؤز القلب ، والعتل الشديد الخصومة وقيل هو الأكل الشروب الظلوم ، والزعيم المستحل في قوم ليس هو منهم وقيل اللثيم .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على الله وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، رواه ابن ماجه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل النار إلا شقي . قيل يا رسول الله ومن الشقي؟ قال من لم يعمل لله بطاعة ولم ينزل له عن معصية ، رواه ابن ماجه وعنده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شرأ وهو يسمع وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : مر بجنازة فأثنى عليها شر فقال النبي ﷺ من

(٥٢) أي لا عقل له ينفك به عن المماسد ، وينزجر عنها ، فحسبك به ضعفاً وخسارة في الدين ، قال أبو العباس شح الفرطى يعنى بذلك أن هؤلاء القوم ضعفاء العقول فلا يسمعون في مصلحة دنيوية ، ولا فضيلة نفسية ولا دينية ، بل يميلون أنفسهم إهمال الأنعام .

(٥٣) أي لا يظهر ، وهو من الأضداد . ا . هـ . من الأصل .

أثنيتم عليه شراً وجبت له النار (٥٤) أنتم شهداء الله في الأرض ، رواه مسلم بطوله قالت عائشة النار دار البخلاء، وقال زيد بن أسلم نهك الله أن تكون لثيماً فتدخل النار ، وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا؟ قالوا نعم يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال أفأنبئكم بشر من هذا؟ قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يقبل عثرة ولا يقبل معزرة ولا يغفر ذنباً قال أفأنبئكم بشر من هذا؟ قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ، أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريق محمد بن كعب القرظي بطوله قال : وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي ﷺ إلا من حديثه عن ابن عباس .

(٥٤) معناه عند الفقهاء إذا أثني عليه أهل الفضل والصدق والعدالة لأن الفسقة قد يشنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث ، وكذلك لو كان القائل فيه عدواً له وإن كان فاضلاً ، لأن شهادته في حياته له كانت غير مقبولة ، وكذلك الحكم في الآخرة قاله القرظي .

(باب)

في صفة أهل النار

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل سفيه جعظرى . رواه أحمد ، وفيه البراء بن عبد الله وهو ضعيف ، وعن ابن عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وعن ابن غنم قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى والعتل الزنيم ، رواه إمام أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ .

وعن علي بن رباح قال بلغني عن سراقبة بن مالك أن النبي ﷺ قال بإسراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟ قال بلى يا رسول الله ، قال أما أهل النار فكل جعظرى جواظ مستكبر ، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه رواية لم يسم ، قاله في مجمع الزوائد ، وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بعث الله نبياً إلى قوم فقبضه إلا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير صدقة ابن سابق وهو ثقة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ صنفان من أمي لم أرهما قوم معهم سياط من نار كأذ ناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا . أخرجه مسلم ، قال الخليل : الصنف الطائفة من كل شيء والسوط اسم العذاب وإن لم يكن ثم ضرب ، قاله الفراء .

قال القرطبي وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن . انتهى
 قلت : بل هو مشاهد في كل مكان وزمان ويزداد يوماً فيوماً عند
 الأمراء والأعيان فنعوذ بالله من جميع ما كرهه الله .

والمعنى أنهم كاسيات بالثياب ، عاريات من الدين لانكشافهن وإبداء
 محاسنهن ، وقيل كاسيات ثياباً رفاقاً يظهر ماتحتها وما خلفها فهن كاسيات في
 الظاهر عاريات في الحقيقة ، وقيل كاسيات في الدنيا بأنواع الزينة من الحرام
 ومما لا يجوز لبسه ، ومائلات معناه زائغة عن طاعة الله وطاعة الأزواج وما يلزمهن
 من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ، ومميلات معناه يعلمن غيرهن الدخول
 في مثل فعلهن ، وقيل مائلات متبخرات في مشيتهن ، مميلات يملن رءوسهن
 وأعطافهن للخيلاء والتبختر ، ومميلات لقلوب الرجال إليهن بما يبدن من
 زينتهن وطيب رائحتهن ، وقيل يمتشطن الميلاء وهي مشطة البغايا ، والمميلات
 اللواتي يمشطن غيرهن المشطلة الميلاء يغطين رءوسهن بالخمير والمقانع ويجعلن
 رءوسهن شيئاً يسمى عندهن النازة ، لاقصص الشعر والدوائب المباح للنساء
 على حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله إنى امرأة أشد
 ضفر رأسى الحديث .

(باب)

أول من يكسى من حلال النار

عن أنس بن مالك « أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعده وذريته من بعده أو من خلفه وهو ينادى ياثوراه وينادون ياثورهم؛ فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ، رواه أحمد والبخاري . قال في مجمع الزوائد ورجاهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق .

(باب)

ما جاء في أكثر أهل النار :

عن أسامة بن زيد قال ، قال رسول الله ﷺ : قمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء . أخرجه مسلم . ومن حديث ابن عباس في حديث كسوف الشمس : ورأيت النار فلم أر منظرأ كالיום قط ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا بم يارسول الله؟ قال بكفرنهن ، قيل أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط .

وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : إن أقل ساكني الجنة النساء أي لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لتقصان عقولهن أن تنفذ بصائرهما إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها لميلهن إلى الدنيا والتزين بها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى . فأكثرهن معرضات عن الآخرة

بأنفسهن : صارفات : عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعينهن من المعرضين عن الدين . عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الآخرة وأعمالها من المتقين .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء رواه الترمذى ورواه عن عمران بن حصين أيضاً ، وقال فيه هذا حديث حسن صحيح وكلا الحديثين فيهما مقال .

وعن حارثة بن وهب الخزاعي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر ، أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . والعتل الشديد الجافي والجواظ الجموع المنوع : وقيل الكثير اللحم المختال في مشيه ، وقيل القصير البطين .

وعن عبد الرحمن بن شبل قال : قال رسول الله ﷺ : إن الفساق أهل النار ، قالوا يارسول ومن الفساق ؟ قال النساء . قال رجل يارسول الله : أو ليس أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا ؟ قال بلى ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن وإذا ابتلين لم يصبرن . رواه أحمد ورجاله ورجال الصحيح غير أبي راشد الخبراني وهو ثقة .

وعن حكيم بن حزام قال : أمر رسول الله ﷺ النساء بالصدقة وحنن عليها وقال تصدقن فإنكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن لم ذلك يارسول الله ؟ قال لأنكن تكثرن اللعن وتسوفن الخير وتكفرن العشير . رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : باب النار لا يدخله إلا من يشقى غيظه بسخط الله . رواه البزار من طريق قدامة بن محمد عن إسماعيل

ابن شيبية ، وهما ضعيفان ، وقد وثقا ، وبقية رجاله رجال الصحيحين ،
وعنه قال : يؤتى الدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرق أنيابها مشوه
خلقتها فتشرف على الخلائق ، فيقال هل تعرفون هذه ؟ يقولون نعوذ بالله
من معرفة هذه : فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام ،
وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادى : أى رب ابن
أتباعى وأشياعى ، فيقول الله تعالى : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها .

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله
ﷺ : إن العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ، ولكن العرفاء في النار .
أخرجه أبو داود . قال أهل العلم : العريف القيم بأمر القبيلة والمحلة يلى أمورهم
ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم .

ومعنى قوله « إن العرافة حق » يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا بهم ،
ألا تراه يقول : لا بد للناس من عرفاء ؟

وقوله « في النار » معناه التحذير من الرياسة والتأمر على الناس لما فيه
من الفتنة والله أعلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ويل
للأمراء وويل للأمناء وويل للعرفاء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم
كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض وإنهم يعملوا عملا (هه) أخرجه
أبو داود والطيالسى .

وعن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة قاطع »
رواه البخارى . قال سفیان : يعنى قاطع رحم وعن عقبه بن عامر قال :

(هه) أى من هذه الوظائف التى يكثر من أهلها الظلم . والحديث رواه أحمد وحسنه
السيوطى .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يدخل الجنة صاحب مكس . رواه أبو داود ، ومفهوماً أنهما يدخلان النار .

قال أهل العلم صاحب المكس هو الذى يعثر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين ما لا يجب عليهم لإمروا به مكساً باسم العشر والزكاة وليس هو الساعى الذى يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء .

قال القرطبي : إن التبديل إذا كان فى الأعمال وليس هو فى العقائد فصاحبه فى المشيئة إن عذب فإنه يخرج بالشفاعة ، وهكذا القول فى أصحاب الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة ، فإنهم يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال .

(باب)

ما جاء في أول ثلاثة يدخلون النار

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أول ثلاثة يدخلون النار : أمير متسلط وذو ثروة من مال لا يؤدى حقه وفقير فجور ، أخرج أبو بكر ابن أبي شيبة بطوله .

(باب)

بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فيقول يا آدم ، فيقول لبيك وسعديك فيقول اخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول يارب كم أخرج ؟ فيقول أخرج من كل مائة تسعة وتسعين . قيل فما يبقى منا يا رسول الله ؟ قال إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود . أخرج البخارى .

وعنه قال . قال رسول الله ﷺ . إن إبراهيم يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والفترة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصيني ؟ فيقول اليوم لأعصيك ، فيقول إبراهيم يارب ألم تعدنى أنك لا تخزىنى يوم يبعثون ، فأى خزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال : يا إبراهيم ماتمت رجلك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ، أخرج البخارى ، والفترة غبرة معها سواد ، والذبيخ ذكر الضباع .

وفي الحديث دليل على أن الكافر في النار وإن كان أبا أحد من الرسل ، وقد تعصب قوم أولم السيوطي في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة ، واستدل لذلك بأخبار لاتصح ولا تثبت ، وتوقف قوم في ذلك ، وليس الخوض عندي في هذا الباب من شأن أهل العلم .

وقد ينجر هذا البحث إلى إساءة الأدب في حق من لا يجوز الإساءة فيه ، والله أعلم بحال أبويه ﷺ وما لهما يوم القيامة ، ولا يلحق عار ولا شئار له ﷺ بكونهما في النار كما لا يلحق لإبراهيم عليه السلام من كون أبيه فيها (٥٦) ، نعم لو جاء رسول الله ﷺ في ذلك شيء وصح لوجب المصير إليه ولا يعبأ بأقوال الرجال وأباطيل الأخبار ومواضيع الآثار في أمثال هذه الأبحاث ، فلا يغتر المسلم بقول زيد وعمرو بل عليه أن يكون على بصيرة من دينه وعلى بلل من إيمانه وعلى سلامة من إسلامه ، ولا يخوض مع الخائضين ، فإن الجهل لمقاصد الشرع وضعف العقول وفقدان الفهم قد غلب على الناس أولم إلى آخرهم إلا من عصمه الله تعالى وفقهه في الدين وقليل ما هم وقليل من عباده الشكور .

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل يقول يوم القيامة لآدم عليه السلام قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ، وواحد إلى الجنة ، فبكى أصحابه وبكوا ثم قال لهم رسول الله ﷺ ارفعوا رءوسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، فخفف ذلك عنهم ، رواه أحمد والطبراني قال في مجمع الزوائد وإسناده جيد .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل

(٥٦) . لشيخ الإسلام بن تيمية فتوى في أنهما في النار نشرناها كملحق لرسالة (أربعون حديثاً في أصطناع المعروف) .

يبعث منادياً ينادى يا آدم أن الله عز وجل يأمرك إن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار فيقول آدم يارب ومن كم؟ قال فيقال له من كل مائة تسعة وتسعين فقال رجل من القوم: من هذا الناجي منا بعد هذا يارسول الله قال أهل تدرؤن ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير، رواه أحمد وأبو يعلى وفيه إبراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف.

وعن عباس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وأصحابه عنده (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) إلى آخر الآية قال هل تدرؤن أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله عز وجل:

يا آدم قم فابعث بعثاً إلى النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة؛ فشق ذلك على القوم فقال رسول الله ﷺ إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة، ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، ثم قال إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم قال رسول الله ﷺ اعملوا وأبشروا فإنكم بين خليقتين لم تكونا مع أحد إلا كثرنا، بأجوج ومأجوج وإن أنتم في الناس أو قال في الأمم إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة، إنما أمي جزء من ألف جزء، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة.

وعن أنس قال نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم) إلى قوله (ولكن عذاب الله شديد).

نزلت على النبي ﷺ في مسير له فرفع بها صوته حتى جاء إليه أصحابه فقال أتدرؤن أى يوم هذا. يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعثاً إلى النار من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة فشق ذلك على المسلمين

فقال النبي ﷺ سدوا وقاربوا وأبشروا ، فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة ، إن معكم لخليفتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من كفره الجن والإنس رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة كذا في مجمع الزوائد .

* * *

(باب)

ما جاء في أول من تسعربهم جهنم

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن أول ناس يقضى عليهم يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار .

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت ؟ قال ما تركت من سبيل يجب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . أخرجه مسلم والترمذي بمعناه وقال في آخره ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعربهم النار يوم القيامة .

(باب)

ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي ؟

وإنما قلنا أدراك ولم نقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل « درك » ولما تعالى « درج » فيقال للجنة درج وللنار أدراك ، والمنافقون في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين ، والنار دركات سبعة أى طبقات ومنازل .

عن كعب الأحبار إن في النار لبراً ما فتحت ، أبوابها بعد مغلقة ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيد بالله من شر ما في تلك البر مخافة إذا فتحت تلك البر أن يكون فيها من عذاب الله مالا طاقة لها به ولا صبر لها عليه وهي الدرك الأسفل من النار ، رواه ابن وهب عن طريق ابن زيد .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال توأبيت من حديد مصمتة عليهم في أسفل النار أخرجه ابن المبارك ، وعن علي قال هل تدرون كيف أبواب جهنم؟ قلنا هي مثل أبوابنا هذه . قال لا هي هكذا بعضها فوق بعض ، رواه إبراهيم بن هارون الغنوى ، قال أهل العلم : أعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ وهي التي تخلى من أهلها فيصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية .

قال القرطبي وقد يقال للدركات درجات لقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) ووقع في كتاب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح ، قال الضحاك في الدرك الأعلى الحمديون ، وفي الثاني النصارى ، وفي الثالث ، اليهود وفي الرابع الصابئون ، وفي الخامس الجوس ، وفي السادس مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون .

وقال معاذ بن جبل وذكر علماء السوء من إذا وعظ عنف ، وإذا وعظ أنف ، فذاك في أول درك من النار ومن العلماء من يأخذ علمه مأخذ السلطان فذلك في الدرك الثاني من النار ، ومن العلماء من يحوز علمه فذلك في الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يتخير الكلام والعلم لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعاً فذلك في الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم فذلك في الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا يقول للناس سلوني فذلك الذي يكتب عند الله متكلفاً والله لا يحب المتكلفين ، فذلك في الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً فذلك في الدرك السابع من النار ، ذكره غير واحد من العلماء ، قال القرطبي مغلة لا يكون رأياً وإنما يدرك توقيفاً .

ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر ولظى وسموم ، فهذه أعلام وليست لباب دون باب فاعلم وفي التنزيل (وقنا عذاب السموم) يريد النار ، أجازنا الله منها بجاه محمد ﷺ وآله (٥٧) .

(باب)

ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها
إلا يوم الجمعة

عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال : إن جهنم تسعر كل يوم وتفتح
أبوابها إلا يوم الجمعة فلإنها لا تفتح ولا تسعر ، أخرج أبو نعيم وهذا غريب
من حديثه ، ومكحول لم يكتبه إلا من حديث النعمان ، قال القرطبي ولهذا
المعنى كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام
والله عز وجل أعلم .

(باب)

ما جاء أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم
جزء مقسوم

تقدم الكلام على ذلك في الباب الثاني من الآيات الكريمة

عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : إن جهنم لها سبعة أبواب : باب منها لمن سل
السيف على أمي أو قال أمة محمد ﷺ أخرج الإمامان الحافظان أبو عبد الله
وأبو عيسى ، وقال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث مالك بن مغول
رحمه الله ، قال القرطبي مالك أبو عبد الله البجلي الكوفي إمام ثقة خرج له
البخاري ومسلم والأئمة .

وقال أبو بن كعب : لجهنم سبعة أبواب باب منها للخرورية ، وعن عطاء الخراساني قال إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكرها وحرأ وأنتها ربحاً للزناة الذين ركبوا بعد العلم . رواه أبو نعيم الحافظ .

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قول الله تعالى يعنى الآية المتقدمة جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله آثروا شهواتهم على الله ، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله ، وجزء صبروا رغبهم بحظهم عن الله ؛ وجزء عتوا على الله ، ذكره الحلبي في كتاب منهاج الدين له وقال ، فإن كان ثابتاً فالمشركون بالله هم الثنوية ، والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم إلهاً أو لا إله لهم ويشكون في شريعته أنها من عنده أم لا ، والغافلون هم الذين يحدونه أصلاً ولا يثبتونه وهم الدهرية والمؤثرون شهواتهم هم المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم برسل الله وأمره ونهيه ، والشاقون هم القتالون أنبياء الله وسائر الداعين له المعذبون من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم ، والمصيرون رغبهم المنكرون للبعث والحساب والعاتون الذين لا يبالون بأن يكون ما منهم حقاً أو باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستبدلون والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ إن كان الحديث ثابتاً .

(باب)

في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض
وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

قال بعض أهل العلم في قوله تعالى (لكل باب منهم جزء مقسوم)
قال من الكفارة والمنافقين والشياطين ، بين الباب والباب خمسمائة عام ،
فالباب الأول يسمى جهنم لأنه يتجهنم في وجوه الرجال والنساء فيأكل
لحومهم ، وهو أهون عذاباً من غيره ، والباب الثاني يقال له لظى نزاعة
للشوى ، ويقول آكلة للبيدين والرجلين (يدعو من أدبر) عن التوحيد
(وتولى) عما جاء به محمد ﷺ ، والباب الثالث يقال له سقر وإنما سمي
سقر لأنه يأكل لحوم الرجال والنساء لا يبقى لهم لحماً على عظم ، والباب الرابع
يقال له الحطمة . قال تعالى (وما أدراك ما الحطمة) الآية تحطم العظام وتحرق
الأفتدة .

وقال تعالى (تطلع على الأفتدة) تأخذ النار من قدميه وتطلع فؤاده
وتحرق جلودهم وأيديهم وأبدانهم فيكون الدمع حتى ينفذ ، ثم يبكون الدماء
حتى تنفذ ، ثم يبكون القيح حتى إن السفن لو أرسلت تجرى فيها خرج من
أعينهم لجرت ، والباب الخامس يقال له الجحيم وإنما سمي الجحيم لأنه عظيم .
والجمرة الواحدة منه أعظم من الدنيا .

والباب السادس يقال له السعير ، لأنه يسعر لم يسعر منذ خلق ، فيه ثلثمائة
قصر في كل قصر ثلثمائة بيت في كل بيت ثلثمائة لون من العذاب وفيه الحيات
والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال والأنكال وفيه جب الحزن ليس في
النار عذاب أشد منه ، إذا فتح الجب حزن أهل النار حزناً شديداً . الباب
السابع يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً . وفيه بئر اللهب إذا فتح

تخرج منه النار تستعيد منه النار ، وفيه الذي قال الله عز وجل (سأرهقه صعوداً) وهو جبل من نار تصعده أعداء الله على وجوههم مغلولة أيديهم إلى أعناقهم ، فهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد ، إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضرب سمع صوتها الثقلان ، أبواب النار حديد ، فرشها السخى (٥٨) غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورساخص وزجاج ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، لهم من فوقهم ظلل من النار . ومن تحتهم ظل أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء ملهمة مظلمة ، قد مزجت بغضب الله .

وذكر القتيبي في كتاب عيون الأحبار ، وذكر عن ابن عباس إن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، وهي كما قال تعالى (لها سبعة أبواب) على كل باب سبعون ألف جبل سبعون ألف شعب من النار ، في كل شعب سبعون ألف شق من نار ، في كل شق سبعون ألف واد من نار ، في كل واد سبعون ألف قصر من النار ، في كل قصر سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف نقار لكل نقار سبعون ألف قلة من سم ، فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فتطير منها سرادق عن يمين الثقلين وآخر عن شمالهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم ، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى رب سلم سلم .

قال القرطبي : ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو توقيف لأنه إخبار عن مغيب . انتهى .

ثم نقل عن وهب بن منبه نحوه . وأقول : وهب يحدث عن الإسرائيليين كثيراً ولا يقبل مثل ذلك عنه ولا عن أمثاله ونظرائه إلا أن يرد به دليل من

(٥٨) يقال سخوت النار أسخوها سخواً ، وذلك إذا أوقدت فاجتمع الجمر والرماد .

الكتاب أو السنة الصحيحة ، وما ورد في ذلك من القرآن والحديث يكفى ويشفى ويغنى عن غيره .

(باب)

ما جاء في عظم جهنم وأزمتها
وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم
وفي قمع النبي ﷺ إياها وردّها عن أهل الموقف

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام^(٥٩) سبعون ألف ملك يجرونها أخرجه مسلم ورواه الطبرانى عن عبد الله بن مسعود أيضاً عن النبي ﷺ ولفظه « يجاء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » قال فى مجمع الزوائد : ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر ابن الصباح ، وقد وثقه ابن حبان . انتهى .

زاد زيد بن أسلم : فيبيناهم إذ شردت عليهم شرده انفلتت من أيديهم ، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من فى الجمع فأخذوها ، ذكره ابن وهب بطوله ، وزاد أبو حامد فى كتاب « كشف علم الآخرة » فيجئو كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلين ، ويجعل كل واحد منهم يقول : نفسى نفسى لا أسألك اليوم غيرها ومحمد ﷺ يقول : أمتى أمتى سامها ونجها يارب ، وليس فى الموقف من يحمله ركبته ، وهو قوله تعالى (وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى آخر ما قال ، وملائكة النار كما وصفهم الله تعالى (غلاظ شداد) .

(٥٩) الزمام ما يزم به التى أى بشدوير بط .

وعن عبد الرحمن بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنم : ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب ، رواه ابن وهب . وقال ابن عباس : ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم .

وأما قوله تعالى (عليها تسعة عشر) فالمراد رؤسائهم كما تقدم في باب الآيات ، وأما جملتهم فالعبارة عنهم كما قال تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال أهل العلم : إنما خص النبي ﷺ بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء لأنه رآها في مسراه وعرضت عليه في صلواته حسب ما ثبت في الصحيح ، وفي ذلك فوائد ثمان ذكرها القرطبي في التذكرة (٦٠) ليس في ذكرها هنا كثير فائدة .

(٦٠) منها أن فيه دليلاً فقهياً على أن الجنة والنار قد خلقتا ، خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقهما ، وهو يجري على ظاهر القرآن في قوله (أعدت للكافرين) والإعداد دليل على الخلق والإيجاد .

(باب)

في كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها إلا من

عنده جواز

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول : وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقاً واحداً ، فيقولون من أزواجك ؟ فيقول كل متكبر جبار ، أخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغنى . وفى قوله تعالى (وتقول هل من مزيد) دلالة على كلام جهنم واضحة لانخفاءها ، وفى حديث أنس ابن مالك يرفعه . تقول جهنم لا يجوزنى إلا من عنده جواز . قال النبى ﷺ يا جبريل ما الجواز قال أبشر أبشر من شهد أن لا إله إلا الله جاز جسر جهنم . الحديث ذكره القرطبي .

(باب)

ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال تعالى (عليها تسعة عشر)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب رسول الله ﷺ . هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا لا ندرى حتى نسأله ، فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ، فقال وبماذا غلبوا ؟

قال سألم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ، فقالوا لا ندرى حتى

نسأل نبينا ، قال أيغلب قوم ستلوا عما لا يعلمون ، فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ولكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا (أرنا الله جهرة) فلما جاءوا قالوا يا أبا القاسم : كم عدد خزنة جهنم ؟ قال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسع . قالوا نعم . الحديث رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

(باب)

ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها

تقدم ما ورد من الآيات في بابها

عن مجاهد عن ابن عباس قال : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت لا . قال أجل والله ما تدرى ، إن بين شحمة أذنى أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجرى فيها أودية القحح والدم ، قلت له أنهار ؟ قال لا بل أودية ، ثم قال أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت لا ، قال أجل والله ما تدرى ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) قالت : قلت فأين الناس يومئذ ؟ قال على جسر جهنم . أخرجه ابن المبارك والترمذى وصححه .

قال في مجمع الزوائد : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبسة ابن سعيد وهو ثقة .

وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال : لسرادق النار أربع جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة . ذكره ابن المبارك وأخرجه الترمذى أيضاً وقال عبد الله بن مسعود : إن جهنم لتضيق على الكافر كتضيق الزج على الرمح وذكره الثعلبي والقشيري عن ابن عباس .

(باب)

ما جاء في أن الشمس والقمر يقذفان في النار

عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية (وجمع الشمس والقمر) قال
بجمعان يوم القيامة ثم يفقدان في النار فتكون نار الله الكبرى .

وعن يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ :
إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار . أخرجه أبو داود الطيالسي . قال
في مجمع الزوائد ورواه أبو يعلى وفيه ضعف قد وثقوا .

قال القرطبي كذا الرواية « ثوران » بالمثلثة وإنما يجمعان في جهنم لأنهما
قد عبدا من دون الله ، ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما جماد ، وإنما يفعل
ذلك بهما زيادة في تبييت الكافرين وحسرتهم ، هكذا قال بعض أهل العلم :

* * *

(باب)

ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجازنا الله
منها

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ،
ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ،
فهى سوداء مظلمة . رواه مالك والترمذى وهذا لفظه ، قال الموقوف في هذا
الباب أصح ولا أعلم أحد رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك وعنه موقوفاً
مثله ، وقال « فهى كسواد الليل » مكان « سواد مظلمة » رواه ابن المبارك ،
وعنه أنه قال ترونها كقاركم لى أشد سواداً من القار ، والقار الزفت .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار
جهنم؟ لى أشد من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً ، رواه الطبرانى فى الأوسط .
قال فى مجمع الزوائد ورجاله الصحيح ، وعنه قال : قال رسول الله ﷺ
هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
وعن سلمان قال النار سوداء لا يضىء لىها ولا جمرها .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نار ابن آدم التى يوقدون
منها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، فقالوا يا رسول الله وإن كانت لكافية؟
قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً . أخرجه مالك ومسلم وزاد : كلها مثل
حرها .

وفى تيسير الوصول إلى أحاديث جامع الأصول أخرجه الثلاثة والترمذى ،
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن ناركم هذه جزء من

سبعين جزءاً^(٦١) من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفختم بها ، وإنما لتدعو الله أن لا يعيدها فيها . رواه ابن ماجه ورواه الزار عن أنس عن النبي ﷺ بلفظ أنه ذكر نار جهنم فقال إنها لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وما وصلت إليكم - أحسبه قال - حتى نضجت مرتين بالماء لتضئ لكم ، ونار جهنم سوداء مظلمة قال في مجمع الزوائد ورجاله ضعفاء على توثيق لين فيهم .

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال الرويا الصالحة بشرى وهى جزء من سبعين جزءاً من النبوة ، وإن ناركم - يعنى هذه - جزء من سبعين جزءاً من سموم جهنم ، وما دام العبد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة ما لم يحدث ، رواه الزار وفيه عبيد بن إسحق العطار وهو متروك ووثقه ابن حبان ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح قاله فى مجمع الزوائد .

وعن أبى هريرة نحوه مرفوعاً وقال ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة ، خرجه سفیان بن عيينة ، وفى خبر آخر عن ابن عباس : هذه النار قد ضرب بها البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفخ بها . ذكره أبو عمرو . وقال عبد الله بن مسعود لولا أنها ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفختم بشيء منها ، وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مما خلقت ؟ فقال من نار جهنم غير أنها طفئت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بأنعم الناس يوم القيامة من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعم قط ؟

(٦١) يعنى أنه لو جمع كل ما فى الوجود من النار التى يوقدها ابن آدم لكانت جزءاً من نار جهنم .

فيقول لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبيغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط ، أخرجه مسلم وأخرجه ابن ماجه أيضاً عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة فيغمس فيها ثم يخرج فيقال أى فلان هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول لا ما أصابني نعيم قط ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضرراً وبلاء فيقال اغمسوه غمسة في الجنة فيغمس فيها غمسة فيقال له أى فلان هل أصابك ضرر وبلاء فيقول لا ما أصابني ضرر قط ولا بلاء .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لو أن جهنمياً من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصرها لأحرقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازناً من خزنة جهنم خرج إلى أهل الدنيا حتى يبصرونه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله ، أخرجه إبراهيم بن هديبة وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم ، أخرجه البزار .

(باب)

ما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها
وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها . أجازنا الله منها
ومن أهوالها

روى الأئمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضى بعضاً فجعل لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف فشدة ما يجدون من البرد زمهريرها وشدة ما يجدون من الحر من سمومها. أخرجه البخارى ومسلم والترمذى، ورواه أبو يعلى عن أنس بن مالك ولفظه فشدة ما تجدون من الحر من حرها وشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، قال في مجمع الزوائد وفيه زياد النيرى وهو ضعيف عند الجمهور . انتهى .

قلت : وأصله في الصحيح كما عرفت ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن جهنم قالت يا رب ائذن لي في نفس فأني أختشى أن أفيض على خلقك فأذن لها بنفسين في كل سنة مرتين ، فشدة الحر من فيحها وشدة البرد من زمهريرها رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، قاله الهيثمى في مجمع الزوائد .

وعن أبي سعيد الخدرى قال سمع رسول الله ﷺ صوتاً هائلاً فأتاه جبريل فقال رسول الله ﷺ ما هذا الصوت يا جبريل ؟ فقال هذه صخرة هوت من سفير جهنم من سبعين عاماً فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن يسمعك صوتها ، فما رأى رسول الله ﷺ ضاحكاً ملاً فيه حتى قبضه الله .

رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف ،
قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي هريرة قال كنا مع رسول الله ﷺ إذ يسمع رجعة فقال النبي
ﷺ ما تدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال هذا حجر رمى به في النار
منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها ، أخرجه
مسلم. وعن الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا – يعنى منبر
البصرة – عن النبي ﷺ قال إن الصخرة العظيمة لتلقى في شفير جهنم فتوى
فيها سبعين عاماً وما تقضى إلى قرارها ، قال وكان ابن عمر يقول أكثر وا
ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها مديد وإن مقامها حديد ، رواه الترمذي
وقال لا نعرف للحسن سماعاً من عتبة بن غزوان ، وإنما قدم عتبة البصرة
زمن عمر وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

وعن لقمان بن عامر قال جئت أبا أمامة فقلت حدثنا ما سمعت من رسول
الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لو أن حضرة وزنت عشر خلفات
قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى ينتهى إلى غي وأثام ،
قيل وما غي وأثام قال بثران في جهنم يسيل منهما صديد أهل النار وهما اللتان
ذكرهما الله تعالى في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غياً) وقوله (من يفعل ذلك يلق أثاماً) رواه الطبراني وفيه ضعفاء قد وثقهم
ابن حبان وقال يخطئون .

وعن الزهري قال بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ
قال والذي نفس محمد بيده إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع
خلفات (٦٢) بشحومهن ولحومهن وأولادهن تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ

قعرها سبعين خريفاً . أخرجه ابن المبارك وروى الطبراني نحوه ، وفيه راو لم يسم وبقيّة رجاله رجال الصحيح قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي أمامة قال إن ما بين شفير جهنم سبعين خريفاً من حجر يهوى — أو قال صخرة تهوى — عظيمها كعشر عشرات عظام سمان ، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة؟ قال نعم غي وأثام ، رواه ابن المبارك .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لو أن حجراً كسبح خلفات بشحومهن وأولادهن ألقى في جهنم لهُوى سبعين عاماً لا يبلغ قعرها رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف وقد وثق وبقيّة رجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ لو أن حجراً قذف به في جهنم لهُوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها ، رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقيّة رجالها ثقات .

وعن بريدة عن النبي ﷺ قال لو أن حجراً يهوى في جهنم لما وصل إلى قعرها سبعين خريفاً . رواه البزار والطبراني وفيهما محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف .

وعن خالد بن عمر العدوي قال : خطبنا عروة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصاها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه ذكر لنا أن الحجر ليلقي من شفير جهنم فيهُوى بها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ، والله لتمثلن . الحديث أخرجه مسلم ، قال كعب : لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، وإن جهنم

لنزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول
نفسى نفسى ذكره القرطبي .

(باب)

ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان

ذكر رزين أن رسول الله ﷺ قال : من كذب على معتمداً فليتبوأ بين
عيني جهنم مقعداً ، قيل يا رسول الله ولها عينان ؟ قال : أما سمعتم الله يقول
(إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) يخرج عنق من النار وله
عينان تبصران ولسان ينطق فيقول : وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر ،
فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه من البرية .

وفي رواية أخرى : فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر
حب السمسم ، صححه أبو محمد بن العرب في قبسه وقال : أى يفصلهم عن
الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من البرية .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ يخرج عنق من النار يوم
القيامة فيكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به ، فيقول
إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر ؛ وبكل جبار عنيد ، ومن قتل نفساً
بغير نفس ، فتنتلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام ، وفي رواية فتنتلوى
عليهم فتقذفهم في جهنم ، رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار ، وأبو يعلى
بنحوه والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادى الطبراني رجاله رجال الصحيح .

وعن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : إذا جمع الله الناس
في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها
وهي تقول : وعزة ربى لتخلن بيني وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقاً

واحدة ، فيقولون ومن أزواجك ؟ فتقول كل متكبر جبار ، فتخرج لسانها فتلتقطهم من بين ظهرائي الناس فتقذفهم في جوفها ثم يستأخر ثم يقبل يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول :

وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون ومن أزواجك فتقول كل جبار كفور ، فتلتقطهم من بين ظهرائي الناس فتقذفهم في جوفها ، ثم يستأخر ثم يقبل يركب بعضهم بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول : وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون ومن أزواجك ؟ فتقول كل مختال فخور ، فتلتقطهم بلسانها فتقذفهم في جوفها . ثم يستأخر ويقضى الله بين العباد ، رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا إلا أن ابن إسحق مدلس ، قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ، فيقول إني وكلت بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين ، أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب صحيح . وفي الباب عن أبي سعيد .

وكان بعض الوعاظ يقول : أيها المحترى على النار ألك طاقة بسطوة مالك خازن النار ، ومالك إذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضاً .

(باب)

ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم

روى عن الحسن أنه قال : ما في جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه . وروى عن ابن مسعود نحوه .

وعن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ لو أن رصاصة مثل هذه ، وأشار إلى الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن يبلغ أصلها أو قعرها . أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث إسناده صحيح .

قال القرطبي : و في الخبر أن الله تعالى ينشئ لأهل النار سحابة فإذا رأوها ذكروا سحائب الدنيا فيناديهم : يا أهل النار ما تشتهون ، فيقولون نشتهي الماء البارد فتمطرهم أغلالاً تزداد في أغلالهم وسلاسل تزداد في سلاسلهم .

وقال محمد بن المنكدر : لو جمع حديد الدنيا ما خلا منها وما بقي ما عدل حلقة من حلق جهنم . وقال ابن زيد : ويقال إن حلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته . قال (ولهم مقامع من حديد) يجمعون بها هؤلاء فإذا قال خذوه فيأخذوه كذا وكذا ألف ملك فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صارت تحت أيديهم رفاتاً فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الحديد ، قال فيلقون في النار مصفودين ، قال فليس شيء لهم يتقون به إلا الوجوه وهم مصفودون قد ذهبت الأبصار فهم عمى ، وقرأ له قوله تعالى (أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) إلى آخر الآية .

قال إذا ألقوا فكادوا يبلغون قعرها تلقاهم لهبها فيردهم إلى أعلاها حتى إذا

كادوا يخرجون تلقهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربوهم بها فجاء أمر بغلب اللهب فهووا كما هم سافلين ، هكذا وقرأ قول الله عز وجل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) فهم كما قال الله تعالى (عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية) .

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال : لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض . رواه أحمد وأبو يعلى قال في مجمع الزوائد وفيه ضعف وقد وثقوا .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد ، رواه أحمد وأبو يعلى في حديث طويل وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه .

وروى عن طاوس أن الله عز وجل خلق ملكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب إلا وملك يعذبه بأصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه على السماء لأذاها . ذكره القتيبي في عيون الأخبار له .

(باب)

ما جاء في كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها

عن عبد الرحمن بن زيد قال . تلقاهم جهنم يوم القيامة بشرر كالنجوم فيولوا هاربين ، فيقول الجبار تبارك وتعالى : ردوهم عليها فيردوهم ، فذلك قوله تعالى (يوم يولون مدبرين ، ما لكم من الله من عاصم) أى مانع يمنعكم ، ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها فتندبر حدقهم فيدخلوها عمياً مغلولين في الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، قال : قال رسول الله ﷺ ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب . ذكره ابن وهب .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقتهم فلفحتهم لفة فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب ، رواه الطبراني في الأوسط ، قال في مجمع الزوائد وفيه شمد بن سليمان بن الأصهباني ، وهو ضعيف .

(باب)

في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

قال القرطبي : يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطير كما يطير الشرر ، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب ، فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمها على الكافرين فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار .

وقال بعض المفسرين هو معنى قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له ، وقال لعلك تقول كيف ترى أهل الجنة أهل النار ، وأهل النار أهل الجنة كيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك لا تقل هكذا فإن الله يقوى أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض ، وهذا قريب في قدرة الله جداً .

(باب)

في نفس أهل النار

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لو أن في المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لا حترق المسجد ومن فيه ، رواه أبو يعلى عن شيخه إسحاق ، ولم يعينه فإن كان ابن راهويه فرجاله رجال الصحيح وإن كان غيره فلم أعرفه ، قاله في مجمع الزوائد ، وعن أبي هريرة مثله ولفظه ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم رواه البزار وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال يعتبر حديثه إذا حدث من كتابه فإن في حديثه من حفظه بعض المناكير ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح .

(باب)

ما جاء في أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحاراً
وصهاريج وحياضاً وآباراً أو جباباً وتنانين وسجوناً
وبيوتاً وجسوراً وقصوراً أو أرجاء ونواعير وعقارب
وحيات أجارنا الله منها بفضلها وكرمه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوى فيه كذلك أبدأ ، أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة .

وفي حديث أنس رضى الله عنه أن من مات سكرانا فإنه يبعث يوم القيامة سكراناً إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران أجازنا الله منه .

وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى فهو كذلك ، أخرجه ابن المبارك عن طريق رشدين ابن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم ، وعن عطاء ابن يسار قال الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره .

وذكر بن عطية في تفسيره عن ابن عياض أنه قال الويل صهريج في جهنم من صديد أهل النار وقال زياد بن وقاص الويل مسيل في أصل جهنم ، وحكى الزهر اوى عن آخرين أنه باب من أبواب جهنم ، وقال أبو سعيد الخدرى إنه واد بين جبلين يهوى فيه الهاوى أربعين خريفاً وأخرج الترمذى مرفوعاً عن أبي سعيد الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره قال وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبي لهيعة .

وقال ابن زيد اليعموم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار لا بارد بل حار لأنه من دخان شفير جهنم ، ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب : ولاحسن منظره ، وقال مجاهد واد في جهنم يقال له موبق وعن عكرمة هو نهر في جهنم يسيل ناراً على حافتيه حيات مثل البغال الدم فإذا طارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاحتحام في النار وقال أنس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم قال نوف البكالى في قوله تعالى (وجعلنا بينهم موبقاً) قال واد في جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان .

وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال إن في جهنم لوادياً يقال له هب هب يسكنه كل جبار ، رواه الترمذى ورواه الطبرانى بلفظ « إن في

جهنم وادياً وفي الوادي بئر يقال له ههب حق على الله أن يسكنها كل جبار عنيد « قال في مجمع الزوائد وفيه أزهري بن سنان وهو ضعيف .

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : قال رسول الله ﷺ إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفاً وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفاً رواه أحمد والطبراني ، قال في مجمع الزوائد وفيه ضعفاء قد وثقوا .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ عمر الذباب أربعون ليلة والذباب كله في النار إلا الغملة رواه أبو يعلى قال في المجمع ورجاله ثقات .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال الذباب كله في النار إلا الغملة رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن حازم وهو ثقة ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري بن عمر عن النبي ﷺ بأسانيد وبعض رجال أسانيد الطبراني ثقات ورواه الطبراني أيضاً عن ابن مسعود مرفوعاً وقال إلا النحل وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات وقال نحتاج بما وافق فيه الثقات وترك ما انفرد به بعد أن استخرت الله تعالى فيه ، وبقيت رجاله رجال الصحيح وقد وافق الثقات في أصل الحديث .

وعن ابن مسعود في قول الله تعالى زدناهم عذاباً فوق العذاب ، قال زيد عقارب أنيابها كالنخل الطوال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح ، وعن ابن عباس في الآية المذكورة قال هي خمسة أشهر تحت العرش يعذبون ببعضها بالليل وبعضها بالنهار ، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيحين ، كذا في مجمع الزوائد .

وعن عائشة زوجة النبي ﷺ أنها سئلت عن قول الله تعالى (فسوف يلقون غياً) قالت نهر في جهنم ، واختلفوا في قوله تعالى (أعوذ برب الفلق) فروى عن ابن عباس أنه سجن في جهنم ، وقال كعب هو بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم وعنده عن حميد بن هلال قال حدثت أن في جهنم تنانين ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض تضيق على قوم بأعمالهم ، وذكر ابن المبارك أن في جهنم قصرأ يقال له هوى يرى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله .

قال تعالى (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) وإن في جهنم وادياً يدعى أناما فيه حيات وعقارب ، في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من سم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حمة لدغتها فهو لما خلق له ، وأن في جهنم سبعين داء لأهلها كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم وإن في جهنم وادياً يسمى غياً يسيل قيحاً ودماً فهو لما خلق له قال تعالى (فسوف يلقون غياً) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن في جهنم بحراً أسود مظلماً متنن الرياح يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره ، رواه أبو هدية إبراهيم بن هدية ، وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت يا بلال إن أباك حدثني عن جدك عن رسول الله ﷺ قال إن في جهنم وادياً ولذلك الوادى بئر يقال له ههب حق على الله أن يسكنها كل جبار فيأياك أن تكون منهم ، رواه أبو نعيم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن في جهنم وادياً يقال له لملم وأن أودية جهنم لتستعيد بالله من حره ، أخرجه ابن المبارك وعن الحسين ابن علي عن رسول الله ﷺ أنه قال كل مسكر حرام وثلاثة غضب الله عليهم ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم وهم في المنسى ، والمنسى بئر في جهنم : المكذب بالقدر والمبتدع في دين الله ومدمن الخمر ، رواه مالك والخطيب .

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صور الناس ، يعلمهم كل شيء من الصغار . يساقون حتى يدخلون سحناً في جهنم يقال له بوس يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال (٦٣) ، أخرجه ابن وهب وابن المبارك ، وعنه عن النبي ﷺ قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سحن في جهنم يسمى بوس يعلمهم نار الإبتار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال . أخرجه الترمذى وقال حديث حسن .

وروى عن زيد بنى ثابت قال : قال رسول الله ﷺ المدينة مهاجرى وفيها مضجعى ومنها مخرجى حقاً على أمتى حفظ جيرانى فيها من حفظ وصيتى كنت له شهيداً يوم القيامة ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال ، قيل وما حوض الخبال يا رسول الله قال حوض من صديد أهل النار . قال القرطبي غريب من حديث خارجة بن زيد عن أبيه ، لم يروه عنه غير أبي الزناد تفرد به عنه ابنه عبد الرحمن والله أعلم .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال تعوذوا بالله من جب الحزن ، فقيل يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال واد في جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعدده الله للقراء المرأئين .

وفي رواية الدين يراعون الناس بأعمالهم ، أخرجه أسد بن موسى والترمذى

(٦٣) قال القرطبي طينة الخبال عرق أهل النار وعصارتهم وهو شراب أيضاً لمن يشرب المسكر جاء ذلك في صحيح البخارى عن جابر أن رجلاً قدم من جيشان . وجيشان من اليمن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المذر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو ؟ قال نعم قال إن على عهداً لمن شرب المسكر أن يمقيه من طينة الخبال ، قال يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار .

وقال في حديث أبي هريرة مائة مرة . قلنا يا رسول الله ومن يدخله؟ قال القراء المرءون بأعمالهم وقال هذا حديث غريب وخرجه ابن ماجه أيضاً .

عن أبي هريرة ولفظه قال : قال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعائة مرة. قيل يا رسول الله ومن يدخله؟ قال أعد للقراء المرءين بأعمالهم وأن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء ، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة أيضاً ولفظه بعد قوله أربعائة مرة يلتقي فيه الغوارون، قيل يا رسول الله وما الغوارون؟ قال المرءون بأعمالهم في الدنيا. قال في مجمع الزوائد وفيه محمد بن الفضل بن عطية وهو مجمع على ضعفه . انتهى .

قال المحاربي وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه ﷺ قال إن في جهنم لواديا إن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادى كل يوم سبع مرات وإن في ذلك الوادى لجباً إن جهنم وذلك الوادى ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب وإن في ذلك الجب لحية إن جهنم والوادى وذلك الجب ليتعوذون من شر تلك الحية ، أعدها الله للأشقياء من حملة القرآن .

وقال أبو هريرة إن في جهنم لرحى تدور بعلماء سوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا فيقول ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم؟ قالوا إنا كنا نأمركم بالأمر وننألفكم إلى غيره ، قال القرطبي وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد وقال أبو المثني إلا ملوكي إن في النار أقواماً يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ما لهم فيها راحة ولا فترة قال محمد بن كعب القرظي إن لملك مجلساً في وسط جهنم وجسوراً تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها : الحديث .

(باب)

في بيان قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) وفي ساحل
جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين

عن زيد بن شجرة قال : وكان معاوية بعثه في الجيوش يلقي عدواً ، فرأى
في أصحابه فشلاً فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، اذكروا
نعمة الله عليكم وذكر الحديث وفيه : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم
وسمائكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان ها نورك ، يا فلان لانور لك ،
إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبحث وعقارب كالبغال
الدهم .

فإذا استغاث أهل النار قالوا الساحل ، فإذا ألقوا فيها سلطت عليهم تلك
الهوام فتأخذ شفار أعينهم وشفاهم وما شاء الله منهم يكشطها كشطاً فيقولون :
النار النار ، فإذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو
عظمه وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعاً ، قال يقال يا فلان هل تجد هذا
يؤذيك ، فيقول وأي أذى أشد من هذا ، قال يقال هذا بما كنت تؤذى
المؤمنين .

وعن أبي سعيد الخدري قال : إن العقبة صخرة في جهنم إذا وضعوا
أيديهم عليها ذابت فإذا رفعوها عادت ؛ أخرجه ابن المبارك .

قال ابن عمر وابن عباس : هذه العقبة جبل في جهنم . وقال محمد بن
كعب وكعب الأحبار ، وهي سبعون درجة في جهنم ، وقال الحسن وقتادة :
هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل ،

وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط وقيل النار نفسها ، وقيل هو جبل بين الجنة والنار ، يقول فلا جاوز هذه العقبة بعمل صالح . ثم بين اقتحامها بما يكون فقال (فك رقبة) الآية .

قال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام تقديره ، أفلا اقتحم العقبة ، يقول هلا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة فيكون خيراً له من إنفاقه في المعاصي ، وقيل في الكلام التمثيل والتشبيه ، فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة . فإذا أعتق رقبة وعمل صالحاً كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب تضره وتؤذيه وتثقله ، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوحيد الخالص كان كمن اقتحم عقبه يستوى عليها ويجوزها ، قال القرطبي هذا حديث حسن ، قال الحسن : هي والله عقبة شديدة : مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : لأن أجمع أناساً من أصحابي على صاع من طعام أحب إلي من أن أخرج إلى السوق فأشترى نسمة فأعتقها أخرج الطبراني في كتاب مكارم الأخلاق .

(باب)

ما جاء في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة)

الوقود بالفتح : الحطب وبالضم اسم الفعل وهو المصدر ، والناس عام ومعناه الخاص ، أى من سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها أجازنا الله منها بكرمه ، قال القرطبي : حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات قد طال منهن العويل .

عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البحار الخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن فإذا قرعوه وقالوا من أقرأ منا ؟ من أعلم منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : هل ترون في أولئك من خير ؟ قالوا لا ، قال أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار ، خرجه بن المبارك ، والحجارة هي حجارة الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء أو كما شاء .

قال ابن مسعود وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الإبقاء وتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا حميت ، وقيل المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) . والحصب ما يلقي في النار مما تزكى به ، وعليه فيكون الحجارة والناس وقوداً للنار ، وعلى التأويل الأول يكونون معذبين بالنار والحجارة قال القرطبي : وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : كل مؤذ في النار وفي تأويله وجهان (أحدهما) أن كل من آذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار (الثاني) كل ما يؤذى الناس في الدنيا من السباع والهوام وغيرها في النار معد لعقوبة أهل النار ، وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين والله أعلم :

(باب)

ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف
كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب
أعمال الأعضاء

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : يعظم أهل النار في النار حتى إن بين
شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون
ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ،
في أسانيدهم أبو يحيى القتات وهو ضعيف وفيه خلاف : وبقية رجاله أوثق
منه ، قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : يعقد الكافر في النار مسيرة ثلاثة
أيام كل ضرس مثل أحد وفخذه مثل ورقان وجلده سوى لحمه وعظمه
أربعون ذراعاً ، رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وقد وثق على
ضعفه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ضرس الكافر أوناب
الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع . رواه مسلم .
وأخرج الترمذي عن النبي ﷺ قال : إن جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً
وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة ، قال هذا حسن
صحيح غريب من حديث الأعمش ، وفي رواية وفخذه مثل البيضاء (٦٤)

(٦٤) قال القرطبي : البيضاء جبل .

ومقعدته من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة^(٦٥) أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ، وقال هذا حديث حسن غريب .

وعن أبي هريرة قال : ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد يعظمون لتمتلي^{*} منهم وليذوقوا العذاب ، أخرجه ابن المبارك .

وعن أبي هريرة قال : ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء وجبينه مثل الوراقان ومجلسه من النار كما بين الوراقان وبين الربذة وكف بصره سبعون ذراعاً وبطنه مثل أضم ، قال الجوهري : أضم بالكسر جبل قال القرطبي : الوراقان جبل بالمدينة .

وعن عبيدة بن عمير قال : قال رسول الله ﷺ بصر الكافر يعنى غلظ جلده سبعون ذراعاً وضرسه مثل أحد سائر خلقه ، أخرجه ابن المبارك ، وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر ولحمه وجسده دوى كدوى الوحش .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس . رواه الترمذى .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ضرس الكافر يوم القيامة ، مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً ومقعدته من النار مثل ما بيني وبين الربذة ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ربيعى ابن إبراهيم وهو ثقة .

وعن يزيد بن حبان التيمي قال انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر ابن مسلم إلى زيد بن أرقم وحدثنا زيد في مجلسه ذلك قال الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون ضرس من أضراسه مثل أحد ، قال في مجمع

(٦٥) مثل الربذة يعنى به كما بين مكة والمدينة .

الزوائد قلت رواه أحمد في حديث طويل ورجاله رجال الصحيح . وعن ثوبان قال وسئل رسول الله ﷺ قال ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار ، رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .

عن سمرة بن جندب أن نبي الله ﷺ قال منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته وفي رواية إلى حقويه . أخرجه مسلم .

قال القرطبي هذا الباب يدل على أن كفر من كفر فقط ليس ككفر من كفر وطغى وتمرد وعصى ، ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأننا نعلم على القطع والثبات أنه عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وقتل فيهم وأفسد في الأرض وكفر مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه وذبه عنه وإحسانه إليه ، وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين إلا أن الله تعالى يميتهم إمامة حسب ما تقدم بيانه والله أعلم .

ومن خبر كعب الأخبار : يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرءون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم بمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرقته ، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره .

وذكر القتيبي في (عيون الأخبار) له مرفوعاً عن أبي هريرة أنه قال وإن زادت حسناته على سيئاته حبس على الصراط سبعين سنة ، ثم بعد ذلك

يدخل الجنة ، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ، فيعذبون في النار ، على قدر أعمالهم ومنهم من تنهى النار إلى ركبتيه ، ومنهم من ينتهى النار إلى وسطه .

وذكر الفقيه أبو بكر بن برحان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) قال : أرى والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين في هذا الحديث أهل التوحيد ، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً ، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر اشتملته النار في الآخرة .

وقال تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) وعن الحارث ابن قيس أن رسول الله ﷺ قال : إن من أمي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها .

* * *

(باب)

ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذابة أهل النار
بذلك

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون . أخرجه مسلم وذكره قاسم بن أصبغ من حديث ابن مسعود أيضاً ، قال : قال رسول الله ﷺ إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي والمصور بصور التماثيل .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال : إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، أخرجه أبو عمرو بن عبد البر وابن ماجه

وابن وهب وفي إسناده عثمان بن مقسم البزري لم يرفعه غيره ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، معزلى المذهب ليس حديثه بشيء . قاله أبو عمرو .

وعن ابن زيد قال : يقال إنه ليؤذى أهل النار نئن فروج الزناة يوم القيامة . ويذكر عن بعض أهل العلم قال . ثلاثة في النار قد آذوا أهل النار ، وكل أهل النار في أذى ، رجال مغلقة عليهم توأبيت من نار وهم في أصل الجحيم ، فيصيحون حتى تعلوا أصواتهم أهل النار ، فيقول لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار قد فعل بكم هذا فقالوا كنا متكبرين .

ورجال قد شقت بطونهم يسحبون في النار أمعاءهم فقال لهم أهل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا كنا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا ، ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرون قيل لهم ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا كنا نسعى بين الناس بالنميمة ذكره ابن المبارك .

وعن شقي بن مانع الأصبح عن رسول الله ﷺ قال : أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور ، يقول أهل النار بعضهم لبعض .

ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ، قال فرجل معلق عليه تابوت من حجر ، ورجل يجر أمعاءه يسيل فوه قيحاً ودماً ، ورجل يأكل لحمه ، قال فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها قضاء أو قال وفاء ، ثم يقال للذي يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ، قال فيقول إن الأبعد كان لايبالي أين أصاب البول منه ثم لا يغسله ، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا

من الأذى ، قال فيقول . إن الأبعد كان ينتظر في كل كلمة بدعة خبيثة يستلذ بها ويستلذ الرفث بها فيذيعها أى يفشها .

ثم يقال للذى يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ، قال فيقول إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة . خرجه الحافظ أبو نعيم وقال تفرد به إسماعيل بن عياش ، وشقئ مختلف فيه فقيل له صحبه .

* * *

(باب)

في عذاب من عذب الناس في الدنيا

عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا . رواه أبو داود الطيالسى وخرجه البخارى في التاريخ ، وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم ابن حزام مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس ، فقال ما شأنهم ؟ قالوا حبسوا على الجزية ، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله عز وجل يعذب الدين يعذبون الناس .

(باب)

فى شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأتته ونهى عن المنكر وأتاه

وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله وفى أعوان الظلمة كلاب النار

عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه . فيطيف به أهل النار فيقولون أى فلان أأست كنت تأمرنا بالمعروف ونهى عن المنكر ؟ قال فيقول كنت أمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله ، رواه البخارى وخرجه مسلم بمعناه .

عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق^(٦٦) أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمرنا بالمعروف ونهى عن المنكر ، فيقول بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أتيت لياة أسرى بنى على أقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت ، قلت من هؤلاء يا جبريل ، فقال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ،

(٦٧) الاندلاق : الخروج بسرعة . والأقتاب : الأعماء .

أخرجه الحافظ أبو نعيم ، وروى مثله ابن المبارك أيضاً ولفظه في آخره
(الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب) .

وعن الشعبي قال : تطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم في النار فيقولون
ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ، قالوا إنا كنا
نأمركم بالخير ولا تفعله رواه ابن المبارك .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ إن الله يعاقب الأميين يوم
القيامة ما لا يعاقب العلماء ، أخرجه أبو نعيم ، وهذا حديث غريب تفرد به سيار
عن جعفر لم يكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل رحمه الله ، وعن ابن عمر
قال : قال رسول الله ﷺ : الجلاوزة (٦٧) والشرط أعوان الظلمة كلاب
النار ، رواه أبو نعيم وهو غريب من حديث طاووس تفرد به محمد بن مسلم
الطائفي عن ابن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس .

فصل

قال بعض السادة : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل ملك عبداً فعلمه شرائع الإسلام فأطاع وأحسن ، وعصى السيد ، فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد إلى الجنة وأمر بسيده إلى النار ، فيقول عند ذلك واحسرتاه واغبناه ، أما هذا عبدي أما كنت مالكاً لمهجته وماله ، وقادراً على جميع ماله ، فإله سعد ومالي شقيت ! فيناديه الملك المتوكل به لأنه تأدب وما تأدبت وأحسن وأسات — ورجل كسب مالا فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار إلى وارثه فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجه وقدمه بين يديه .

فإذا كان يوم القيامة أمر بالوراث إلى الجنة وأمر بصاحب المال إلى النار ، فيقول واحسرتاه واغبناه ، أما هذا مالي فأحسننت به أحوالي وأعمالى فيناديه الملك المتوكل به لأنه أطاع الله وما أطعته وأنفق لوجهه وما أنفقت. فسعد وشقيت ، ورجل علم قوماً ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل .

فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة وأمر به إلى النار ، فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا علمي فإلهم فازا به وما فزت وسلموا به وما سلمت ؟ فيناديه الملك المتوكل به ، لأنهم عملوا بما قلت وما عملت ، فسعدوا وشقيت ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله قال إبراهيم النخعي : إني لأكره القصص لثلاث آيات : لقوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) الآية .

وقوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقوله تعالى (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) .

قال القرطبي رحمه الله : وألفاظ هذه الآيات تدل مع ذكرناه من

الأحاديث على أن عقوبة ما كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام
بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه . وإنما ذلك لأنه كالمستهين بجرمات
الله والمستخف لأحكامه وهو كالمستهزئ ممن لم ينفعه الله بعلمه .

وقد قال عليه السلام : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه .
وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين يأمرون الناس بالبر
وينسون أنفسهم يجرّون قصبهم في نار جهنم ، فيقال لهم من أنتم ؟ فيقولون
نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا .

قال القرطبي في التذكرة : إن قال قائل في حديث أبي سعيد الخدري
أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها احترقوا فيها وماتوا على ما ذكرتموه
في أصح القولين وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلافه فكيف الجمع
بينهما ؟ قيل له الجمع ممكن وذلك والله أعلم أن أهل النار الذين هم أهلها كما
قال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها لينذوقوا العذاب) قال
الحسن : تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة ، والعصاة بخلاف هذا
فيعذبون وبعد ذلك يموتون ، وقد تختلف أيضاً أحوالهم في طول التعذيب
بحسب جرائمهم وآثامهم .

وقد قيل إنه يجوز أن يكونوا متأبين حالة موتهم غير أن آلامهم تكون
أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعدبين وهم موتى أخف من عذابهم
وهم أحياء . دليله قوله تعالى (وحق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون
عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ، ومثله ما جاء
في حديث البراء من قول الكافر : رب لاتقم الساعة رب لاتقم الساعة لأنه
يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه والله أعلم .

وقد يكون ما جاء في الخطاب هو عذابهم في القبور في أعضاء مخصوصة
لغيرهم كما في حديث سمرة الطويل ، إلا أن قوله في حديث أسامة بن زيد
« يوم القيامة » يدل على ذلك ، وقد يجمع له الأمران لعظم ما ارتكبه من
مخالفة قولهم فعلهم ، نعوذ بالله من ذلك .

(باب)

ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

تقدم في باب الآيات من ذلك ما يشئ ويكفي وفيها أن ثيابهم من نار وسرايلهم من قطران وطعامهم الزقوم والحميم والغساق والضريع والغسلين ، قال الهروي معناه صديد أهل النار وما يتغسل ويسيل من أبدانهم ، والغساق ما يسيل من صديدهم ، وقيل القمح الغليظ .

قال ابن عمر: لو أن قطرة منه تهراق في المغرب أنتنت أهل المشرق ، وقيل الغساق الذي لا يستطيع من شدة برده وهو الزمهرير ، وقال كعب هو عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فيستنقع ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام فيجر لحمه من كعبه كما يجر الرجل ثوبه جزاء وفاقاً ، أى وافق أعمالهم الخبيثة ، واختف في الضريع فقيل هو نبت ينبت في الربيع وقيل هو الشوك وقيل الحجارة وقيل الزقوم وقيل واد في جهنم .

قال القرطبي : قال المفسرون الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها يحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليه من كان فوقه فياً كلون منه ، وقال أبو عمران الجوني : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها ، والمهل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس ، وقيل المهل عكر الزيت الشديد السواد .

(باب)

ما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم
وإجابتهم

عن محمد بن كعب القرظي قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله
في أربع فإذا كان في الخامسة لا يتكلمون بعدها أبداً ، يقولون : (ربنا أمتنا
اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) فيجيبهم
الله تعالى :

(ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله
العلی الكبير) . ثم يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا
موقنون) فيجيبهم الله تعالى (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) ثم يقولون (ربنا أخرنا إلى أجل
قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) فيجيبهم الله تعالى (أو لم تكونوا أقسمتم
من قبل ما لكم من زوال) .

ثم يقولون (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) فيجيبهم الله
تعالى (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فإلظالمين
من نصير) ويقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) فيجيبهم
الله تعالى (اخسثوا فيها ولا تكلمون) . أي بعدها أبداً ، رواه البيهقي وخرجه
ابن المبارك بأطول من هذا ، فقال أخبرنا الحكم بن عمرو بن أبي ليلى قال :

حاشي عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول :

بلغني وذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله (وقال
الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً العذاب) فسألوا يوماً

واحداً يخفف عنهم فيه العذاب ، فردت عليهم الخزنة : (أو لم تك تأتيكم
رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى) فردت عليهم الخزنة (فادعوا وما دعاء
الكافرين إلا في ضلال) قال فلما بشوا مما عند الخزنة نادوا مالكاً وهو عليهم
واه مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فبرى أقصاها
كما يرى أداها ، فقالوا (يا مالك ليقض علينا ربك) .

قال سألوا الموت فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة ، قال والسنة ستون
وثلاثمائة شهر والشهر ثلاثون يوماً واليوم كألف سنة مما تعدون .

ثم لحظ إليهم بعد الثمانين (إنكم ما كنون) فلما سمعوا منه ما سمعوا
وأهيبوا مما قيل لهم قال بعضهم لبعض يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء
والعذاب ما قد ترون فهل بالتصبر فعلل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة
على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا
فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) .
أى من منجا ، قال فقام إبليس عند ذلك فقال :

(إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) إلى قوله (وما أنتم
بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل) ، قال فلما سمعوا مقالته
مقتوا أنفسهم ، قال (فنودوا لقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) إلى قوله —
(فهل إلى خروج من سبيل) قال فرد عليهم (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده
كفرتهم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) ، قال فهذه واحدة ،
فنادوا الثانية (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل) .

قال فرد عليهم (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يقول لو شئت لهديت
الناس جميعاً فلم يتخلف منهم أحد ، ولكن حق القول منى لأملان جهنم من
الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون) .

قال فهذه اثنتان فنادوا الثالثة (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل) فرد عليهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) إلى قوله : (لنزول منه الجبال) .

قال فهذه الثالثة ، ثم نادوا الرابعة (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) قال فيجيبهم (أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكروا وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) . ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) .

قال فلما سمعوا صوته قالوا الآن يرحمنا ربنا ، فقالوا عند ذلك (ربنا غلبت علينا شقوتنا) أى الكتاب الذى كتب علينا وكنا قوماً ضالين ، (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فقال عند ذلك (احسثوا فيها ولا تكلمون) فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم ينبج في وجه بعض وأطبقت عليهم .

قال : فحدثني الأزهرى بن الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يرد عليهم (إنكم ما كنون) قال والله هانت دعوتهم على مالك ورب مالك . قال ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) ، الآية . قال فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين قال ثم يرد عليهم (احسثوا فيها ولا تكلمون) .

قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، فشبه أصواتهم بصوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق ومعنى « ما نبس » ما تكلم ، قال الجوهري يقال ما نبس بكلمة أى ما تكلم ، أخرجه ابن المبارك .

وعن شهر بن حوشب عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :
يلقى على أهل النار الجوع مع ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام
من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة
فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب
فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم
فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون
ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا بلى . قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال .

قال فيقولون ادعوا مالكاً فيقولون (يا مالك ليقض علينا ربك) قال
فيجيبهم (إنكم ما كثون) قال الأعمش نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك
إياهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم ، قال فيقولون
(ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) قال فيجيبهم (اخشوا فيها ولا تكلمون)
قال فعند ذلك يشسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة
والويل ، أخرج الترمذى .

وزاد رزين فيقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً)
والحديث رفعه قطبة بن عبد العزيز عن الأعمش عن شهر بن عطية عن شهر
ابن حوشب وهو ثقة عند أهل الحديث ، والناس يوقفونه على أبي الدرداء
قوله .

عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال : وهم فيها كالحون قال
تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى
حتى تضرب سرته ، ولسرادق النار أربع جدر وكنف كل جدار مسيرة أربعين
سنة ولو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا رواه الترمذى
وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه عن النبي ﷺ في قوله (كالمهل) قال

كمعكر الزيت فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه، قال أبو عيسى هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد، ورشد قد تكلم فيه من قبل حفظه.

قال القرطبي وقع في الحديث « فروة وجهه » وهو شاذ إنما يقال فروة رأسه أي جلده هذا هو المشهور عند أهل اللغة وكذا جاء في حديث أبي أمامة عن أبي حنيفة .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إن الحميم ليصب على وعوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جلده فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاه حتى يخرج من ذبره فيقول الله تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاهم) ويقول (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً) قال حديث غريب .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقالوا لو أن قطرة من الزقوم قطرت على أهل الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه أيضاً :

(باب)

ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها

عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح، العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت أخرجه ابن المبارك قال في مجمع الروائد رواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشي وقد وثق على ضعفه ، انتهى .

وأخرج ابن ماجه عنه قال : قال رسول الله ﷺ يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى تصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت .

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل في أخص قدميه جمرتان تغلي منهما دماغه ، أخرجه مسلم وفي رواية من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وأنه لأهونهم عذاباً ، أخرجه الشيخان والترمذي .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ أهون أهل النار أبو ظالم وهو متعل بنعلين يغلي منهما دماغه ، رواه البخاري .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك مافي الأرض من شيء أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي . متفق عليه ، وروى عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً أنه قال إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو أجريت فيه السفن لجرت ثم لأنهم

يكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه قليل وفي التنزيل (فليضحكوا قليلاً
وليبيكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون) .

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً
ولكتم كثيراً من كثرة بكاؤهم خوفاً من الله تعالى وخشيه منه ضحكاً كثيراً
في الآخرة قال الله تعالى محمراً عن أهل الجنة (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين)
ووصف أهل النار فقال (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين) قال
(وكنتم منهم تضحكون) رواه الترمذي .

...

* * *

(باب)

لكل مسلم فداء من النار من الكفار

عن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد ﷺ في السجود طويلاً ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا عادتكم فداءكم من النار أخرجه ابن ماجه وعنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : إن هذه الأمة أمة مرحومة عذابها بأبليها فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين ويقال هذا فداؤك من النار .

قال القرطبي وهذا الحديث وإن كان إسنادهما ليس بالقوى قال الدارقطني جبارة بن المغلس متروك فإن معناهما صحيح بدليل حديث مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار وفي رواية أخرى لا يموت رجل مسلم إلا أدخل مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً، قال فاستحلفه عمر ابن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ .

فصل

قال علماءنا رحمهم الله في هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك، وإنما هي في ناس من المسلمين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل إنسان منهم فكاً من النار من الكفار واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ، خرجه مسلم ومعنى يغفرها لهم أى يسقط المؤاخذه عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى الوضع أى يضاعف عليهم العذاب بذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرائمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك . لأنه تعالى لا يأخذ أحداً كما قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وله سبحانه أن يضاعف لمن شاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشئته إذ لا يسأل عما يفعل ، وفي الرواية الأخرى لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه يهودياً أو نصرانياً ، فعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان استحق مكاناً من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقي مكانه خالياً منه أضاف الله ذلك المكان إلى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله ﷺ في حديث أنس يقال للمؤمن الذى ثبت عند السؤال فى القبر « انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة » .

قال القرطبي قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً أو غير مذنب منزلين : منزلاً فى الجنة ومنزلاً فى النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) أى يرث المؤمنون منازل الكفار ويحصل الكفار فى منازلهم فى النار وهو مقتضى حديث أنس عن النبي ﷺ « العبد إذ وضع فى قبره » الحديث إلا أن هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث ولا حساب

ولا مناقشة ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار حسب ما تقدم من أحوال النار والله أعلم .

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة ورثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نبوأ من الجنة حيث نشاء) والله أعلم .

* * *

(باب)

في قوله تعالى (وتقول هل من مزيد)

عن أنس عن النبي ﷺ قال : « لا تزال جهنم يأتي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط : وعزتك وكرمك . ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشأ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » أخرجه مسلم والبخارى والترمذى وفي رواية من حديث أبي هريرة « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ وتزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فالله ينشأ لها خلقاً » .

قال القرطبي . وللعلماء في قول النار (هل من مزيد) تأويلان .

(أحدهما) وعداها ليملاها فقال أوفيتك فقالت وهل من مسلك إنى قد امتلأت وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث .

الثاني (زدنى زدنى) تقول ذلك غيظاً على أهلها وحنقاً عليهم كما قال (تكاد تميز من الغيظ) أى تنشق ويبين بعضها من بعض ، وهى عبارة عن يستأخر دخوله في النار من أهلها وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجاً فوجاً كما قال تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) .

ويؤيده أيضاً قوله في الحديث لا يزال يلقي فيها . فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه ، وكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته . فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة قط قط أى حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذ تزوى جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم

يبقى أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم لأن الله تعالى ليس بجسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل فتقول جاءنا رجل من جراد ، ورجل من الناس ، أى جماعة منهم والجمع أرجل ، ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم فضل الجنة ، وفى الحديث تأويلات أتينا عليها فى الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرنا والله أعلم .

وفى التنزيل (أن لهم قدم صدق عند ربهم) قال ابن عباس المعنى منزل صدق ، وقال الطبرى عمل صالح ، وقيل هو سابقة الجنة ، فدل على أن القدم ليس حقيقة فى الجارحة والله الموفق ، قال ابن فورك ، وقال بعضهم القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه فى النار فتمتلئ النار منه ، قال القرطبي وهذا نحو ما قلناه فى الرجل . انتهى كلام القرطبي .

وأقول كل ما ذكر القرطبي هنا من تأويل الرجل والقدم لا يشهد له دليل من كتاب ولا سنة ولا لغة ولا مذهب أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ونقل ابن فورك « القدم خلق » إلخ لا يقبل حتى يدل عليه دليل من السنة ، وأتى ذلك الدليل عند أهل التأويل ، والتأويل هو صنيع المتكلمين ووظيفة المتكلمين لمذاهب الحكماء والفلسفة الطاغين ، ولهذا حذر النبي ﷺ عنه وقال « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » رواه البيهقي فى كتاب المدخل .

عن إبراهيم العنبرى ولهذا كان السلف الصالحون يهرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ،

ولم يكونوا يؤولون شيئاً منها بشيء من عند أنفسهم حذراً من مضادة مراد الله ورسوله في تأويل تلك النصوص ، وكانوا يقولون الله أعلم بمراده بذلك .

فن أول شيئاً من صفاته سبحانه فقد خالف الشريعة الحقّة وسلف الأمة واقتدى بمن نكب عن الصراط المستقيم ، وقد انتدب جماعة من أهل العلم بالقرآن والحديث لرد أقوال المؤولين وردوا عليهم أقوالهم حرفاً حرفاً وأوضحوا خطأهم في إثارة التأويل على التفويض لفظاً لفظاً ، وألفوا في ذلك كتباً مهمة مطولة ومختصرة قديماً وحديثاً وكثرت الزلازل والقلاقل حتى آل الأمر إلى المقاتلة والمجادلة والتكفير والتضليل في كل زمان ومكان وابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً .

وكان ما كان وحاشا أهل الحديث والسنة والخبر والأثر وأصحاب الكتاب العزيز أن يعتقدوا فيه سبحانه وتعالى التجسيم والتكليف أو يعطلوا صفاته العليا أو يؤولوا أسماءه الحسنى ، بل هم أشد الناس رداً على المحسمة المشبهة وأغضبهم في سبيل الله على الجهمية المعطلة ، وإنما ينسبهم إلى التجسيم من هو جاهل سفيه لا يعرف سورهم ولا سيرهم ولا يعلم الكتاب ولا السنة ، ولا يحوم حولها ولا يفهم معانيها .

وقد زل قدم قول من أهل المعرفة بالأخبار أيضاً في هذا المقام حتى ذهبوا إلى التأويل كالبهقي في الأسماء والصفات ، وكالقرطبي عفا الله عنا وعنهم عنه وكرمه ، وأما مقلدة الأئمة الأربعة وأصحاب المذاهب المعتمدة فلا تسأل عنهم فإنهم بمنزل بمن حلاوة الأتباع وعلى مراحل شاسعة عن سعادة التمسك بالسنة ، ورفقنا الله تعالى اقتداء سلف الأمة وأئمتها وجنبنا عن تقليد الرجال ، وحفظنا عن اختيار الآراء في مقابلة نصوص كتاب الله العزيز وأدلة سنة رسوله المختار والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه آم وأحكم وهو المستعان .

(باب)

في ذكر آخر من يخرج من النار

وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة : رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا أو عشرة أمثالها وإن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو تضحك وأنت الملك ! قال فقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال : فيقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبوا مرة وتسفحه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الله وتعالى الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين .

فترفع له شجرة فيقول أي رب ادنى من هذه الشجرة فلاستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تعالى :

يا ابن آدم لعلني إن أعطيتكها سألتني عن غيرها فيقول لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، ورب يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول أي رب ادنى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها .

فيقول ابن آدم لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله

غيرها وربها يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين فيقول مثل قوله فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول ابن آدم ما يضرني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين .

فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مما أضحك فقالوا مما تضحك قال هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا مما تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين فيقول إني لا أستهزئ منك لكني على ما أشاء قدير ، أخرجه مسلم .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة يقول أهل الجنة : عند جهينة الخبر اليقين ، ذكره أبو حفص عمر ابن عبد الحميد القرشي في كتاب الاختيار في الملح من الأخبار والآثار ، ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم .

وعنه عن النبي ﷺ قال إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقي من الخلاق أحد ؟ رواه الدارقطني في كتاب رواه مالك ذكره السهيلي ، وقد قيل إن اسمه هناد والله أعلم .

(باب)

ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل
الذى ينادى يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار

عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ إن ناساً من أمي يدخلون النار بأنزلهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعبرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم نخافوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم فخرجكم فلا يبقى موحداً إلا أخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أخرجه الطبراني .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن عبداً في جهنم ينادى ألف سنة يا حنان فيقول الله تعالى لجبريل ائت عبدي فلاناً فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم قال فرجع يقول يا رب لم أراه فيقول تعالى إنه في مكان كذا وكذا قال فيأتيه فيجىء به فيقول له يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال فيقول شر مكان وشر مقيم قال : فيقول ردوا عبدي فيقول يا رب ما كنت أرجو أن تردني إذ أخرجتني ، فيقول الله تعالى دعوا عبدي ، رواه أبو ظلال هلال بن أبي مالك القسلي ، يعد في البصريين .

وعن سعيد بن جبيرة قال إن في النار لرجلاً أظنه في شعب من شعابها ينادى مقدار ألف سنة يا حنان يا منان^(٦٨) فيقول رب العزة لجبريل يا جبريل أخرج عبدي من النار فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول يا رب إنها عليهم

(٦٨) الحنان الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه ، وروى ذلك عن علي .

مؤصدة فيقول يا جبريل ارجع ففكها فأخرج عبدى من النار فيفكها فيخرج.
مثل الجبال فيطرجه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحماً ودماً ،
ذكره أبو نعيم .

وروى ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إنما
الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ، الحديث وفيه : وأطوهم مكثاً
من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة (٦٩)

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل
الأديان فقالوا لهم كنتم وإيانا جميعاً في الدنيا فآمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبتنا.
وأقررتم وجحدنا فما أغنى ذلك عنكم ، نحن وأنتم اليوم فيها سواء تعذبون كما
نعذب وتخلدون فيها كما نخلد ، فيغضب الله عند ذلك غضباً شديداً لم يغضب
مثله من شيء فيما مضى ، ولا يغضب في شيء فيما بقى ، فيخرج أهل التوحيد
منها إلى عين بين الجنة والصراط يقال لها نهر الحياة فيرث عليهم من الماء
فينتبتون كما ينبت الحبة في حميل السيل (٧٠) فما يلي الظل منها أخضر ، وما يلي
منها الشمس أصفر ، ثم يدخون الجنة فيكتب على جباههم عتقاء الله من النار
إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة .

ثم ينادى يا حنان يا منان فيبعث الله إليه ملكاً فيخوض في النار في طلبه
سبعين عاماً لا يقلد عليه ثم يرجع فيقول إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلان
من النار منذ سبعين عاماً فلم أقدر عليه فيقول الله تعالى انطلق فهو في وادى

(٦٩) لم يأت في عمر الدنيا قرآن ولا حديث صحيح .

(٧٠) الحبة بكسر الهمزة بزور البقول ، وحميل السيل ما احتمله من طين وغشاء ، فإذا اتفق
أن يكون فيه حبة فإنها تنبت في يوم وليلة ، وهي أسرع نابتة نباتاً ، فشبه النبي صلى الله عليه
وسلم سرعة نيات أجسامهم بسرعة نيات تلك الحبة .

كذا تحت صخرة فأخرجه فيذهب فيخرجها منها فيدخله الجنة ثم إن الجهنميين يطلبون إلى الله عز وجل أن يمحي عنهم ذلك الاسم فيبعث ملكاً فيمحاه عن جباههم .

ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين اطلعوا إلى أهل النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه ويرى جاره ويرى صديقه ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله يبعث إليهم الملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الأطباق ويشد بتلك المسامير ، وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل عليهم منها روح ولا يخرج منه غم وينسأهم الرحمن على عرشه (٧١) ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبداً وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفير وشهيق ، فذلك قوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة) .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن زاذان قال سمعت كعب الأحبار يقول إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فنزلت الملائكة فصاروا صفوفاً فيقول الله تعالى لجبريل ائت بهم فيأتى بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت بها أفئدة الخلائق .

ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبته ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر ، وتذهل العقول فيفزع كل امرئ إلى عمله حتى إن إبراهيم الخليل يقول بخلى لا أسألك إلا نفسي ويقول موسى بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي وإن عيسى يقول بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتنى .

ومحمد ﷺ يقول : أمتي لا أسألك اليوم نفسي إنما أسألك أمتي

(٧١) قال القرطبي أي يتركهم في المذاب كما قال (نسوا الله فسيهم) أي تركوا عبادته وتوحيده فتركهم لا يعابهم ولا يلتفت إليهم .

قال فيجيبه الجليل جل جلاله أن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك، ثم تقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به فيقول لهم الله تعالى وتقدس معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرين من أهل الكباثر من أمة محمد ﷺ إلى النار فقد اشتد عليهم غضبي بتهاونهم بأمرى في دار الدنيا واستخفافهم بحتى وانهاكهم بحرمتى يستخفون من الناس ويبارزونى مع كرامتى لهم وتفضلى إياهم على الأمم ، ولم يعرفوا فضلى وعظيم نعمتى .

فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلق بهم إلى النار ، وما من عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مسوداً وجهه قد وضعت الأنكال في رجليه والأغلال في عنقه إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم معاشر الأشقياء من أى أمة أنتم؟ فما ورد على أحسن وجوهاً منكم ، فيقولون يا مالك نحن من أمة القرآن فيقول لهم معاشر الأشقياء أو ليس القرآن أنزل على محمد ﷺ قال فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء فيقولون واحمداه واحمداه أتشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك .

قال فينادى مالك بتهدد وانتهار يا مالك من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب ، يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى في دار الدنيا .

يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة ، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام يا مالك لا تغلبهم بالأنكال فقد طافوا بيتى الحرام: يا مالك مر النار ألا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرعون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى سرته ومنهم من تأخذه النار إلى صدره .

فإذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كبائرهم وعتوهم وإصرارهم فتح بينهم وبين المشركين باب فرأوهم في الطبق الأعلى من النار لا يدوقون فيها برداً ولا شراباً يبكون ويقولون يا محمداه ارحم من أمتك الأشقياء واشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم .

ثم ينادون يا رباه وا سيداه ارحم من لم يشرك بك في دار الدنيا وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدى فعندها يقول المشركون ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد ، فيغضب الله تعالى لذلك فعندها يقول يا جبريل انطلق فأخرج من في النار من أمة محمد فيخرجهم ضبائر قد امتحنوا فيأقيهم على نهر على باب الجنة يقال له نهر الحيوان فيمكثون حتى يعودون أنضر ما كانوا ثم يأمر بإدخالهم الجنة مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد ﷺ فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك فيتضرعون إلى الله أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يعرفون بها بعد ذلك أبداً .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من شره في الدنيا فيوثقون بالحديد ثم أمر بهم إلى النار ثم أوصدها عليهم أي أطبمها ، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً . ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا يلتقي جفونهم على غمض نوم أبداً ، ولا والله لا يدوقون فيها بارد شراب أبداً ، فقال ثم يقال لأهل الجنة يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً ، وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ، قال أبو عمران هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه .

(باب)

تفاوت أهل النار في العذاب

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ إن أهون أهل النار عذاباً رجل
 منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار
 إلى صدره مع أجزاء العذاب ومنهم من في النار إلى رقبته مع أجزاء العذاب ،
 ومنهم من قد انغمس فيها ، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

وعن جابر قال سئل رسول الله ﷺ وقيل له هل نفعت أبو طالب ؟ قال
 أخرجه الله من النار إلى ضحضاح منها ، رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال أدنى أهل النار عذاباً الذي له نعلان
 من نار يغلي منهما دماغه ، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح
 غير يزيد بن خالد بن موهب وهو ثقة .

وعن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ من قتل نفسه
 بشيء في الدنيا عذب به في الآخرة . رواه البزار وفيه إسحاق بن إدريس وهو
 متروك ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال والله لا يخرج من النار أحد
 حتى يمكث فيها أحقاباً ، قال والحقب بضع وثمانون سنة ، كل سنة ثلاثمائة
 وستون يوماً مما تعلمون ، رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الحشاش وهو ضعيف
 جداً ، كذا في مجمع الزوائد .

(باب)

في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى

(فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) .

عن أبي صالح في قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) قال يقال لأهل النار وهم في النار . اخرجوا ففتحت لهم أبواب النار فإذا رأوها قد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم ، فذلك قوله تعالى (فالיום الذين آمنوا) إلخ . . ذكره ابن المبارك .

وعن قتادة في قوله تعالى المذكور ، قال ذكر لنا أن كعباً كان يقول إن بين الجنة والنار كوى^(٧٢) فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا اطلع من بعض الكوى ، قال تعالى في آية أخرى (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) قال ذكر لنا أنه يطلع فيرى جماجم القوم تغلى ، رواه ابن المبارك قال وأخبرنا معمر عن قتادة قال : قال بعض العلماء لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه ، لقد تغير حبه وسببه^(٧٣) فعند ذلك يقول (تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) في النار .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن المستهزين بعباد الله في الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة فيقال لهم

(٧٢) جمع كوة بضم الكاف وهي الشباك بلغة العصر .

(٧٣) يقال فلان حسن الحبر والسبر إذا كان جميلاً حسن الهيئة .

ادخلوا الجنة فإذا جاءوها أغلق الباب في وجوههم ويفتح لهم الثانية فيقال لهم ادخلوا الجنة فإذا جاءوها أغلق الباب ويفتح لهم ثالثة فيدعون فلا يجيبون قال فيقول لهم الرب أنتم المستهزئون بعبادى أنتم آخر الناس حساباً فيقومون حتى يفرقون في عرقهم فينادون يا ربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك ، أخرجه أبو هدية إبراهيم ابن هدية وأورده القرطبي في التذكرة .

* * *

(باب)

ما جاء في استنشاق رائحة الجنة .

والصرف منها إلى النار

قال رسول الله ﷺ يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجح الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأولياك كان أهون علينا .

قال ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتكم في بارزتموني بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتوهم محبتين تراعون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب . ذكره أبو حامد الغزالي . وأورده القرطبي ولينظر في سنده .

* * *

(باب)

ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الخبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار ، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ، ويحصل الكفار في منازلهم من النار ، أخرجه بن ماجه بمعناه . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما منكم إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) إسناده وصحيح . قال القرطبي : وهذا بين في أن لكل إنسان منزلاً في النار ومنزلاً في الجنة .

(باب)

ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط

ومن يذبحه

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم ، أخرجه البخارى .

وعن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح* فيوقف بين الجنة

(*) الذى يكون فيه، بياض وسواد والبياض أكثر .

والنار ، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيسرفون وينظرون ، فيقولون نعم هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيسرفون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت فيزيمرون فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيها . ثم قرأ رسول الله ﷺ .

(وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده إلى الدنيا . أخرجه مسلم وأخرجه أبو عيسى الترمذى عن أبي سعيد يرفعه ، فإذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة من فرحهم . ولو أن أحداً مات حزناً مات أهل النار ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط ، فيقال يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه .

ثم يقال يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ قالوا نعم هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح على الصراط .

ثم يقال للفريقين كلاهما خلود فيما يجدون لا موت فيه أبداً . وأخرجه الترمذى بمعناه مطولا عن أبي هريرة أيضاً وفيه : إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين الجنة والنار .

ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ، ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون

هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء عرفناه . هذا هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت . قال هذا حديث حسن صحيح .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة . فيقولون ليبيك ربنا ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ربنا هذا الموت ، فيذبح كما تذبح الشاة ، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء . رواه أبو يعلى والطبرانى في الأوسط بنحوه والزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة والطاحي نسبة إلى الطاحية بطن من الأزدي ومحلة لهم بالبصرة .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال : يا أيها الناس إني رسول رسول الله ﷺ إليكم بخبركم أن المراد إلى الله إلى الجنة أو نار ، خلود بلا موت وإقامة بلا ظعن . رواه الطبرانى في الكبير والأوسط بنحوه وزاد فيه في أجساد لا تموت ، وإسناد الكبير جيد إلا أن ابن سابط لم يدرك معاذاً .

قلت والذى سقط بينهما عن ابن ميمون الأودى . كما رواه الحاكم في المستدرک في أواخر كتاب الإيمان ، وفي طريقه مسلم بن خالد الزنجي وهو عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ، إلا أن الشيخين قد نسباه إلى أن الحديث ليس من صنعه والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعن عبد الله — يعنى ابن مسعود — قال : قال رسول الله ﷺ لو قيل لأهل النار إنكم ما كثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها ، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ما كثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد . رواه الطبرانى وفيه الحكيم بن ظهير وهو مجمع على إضعافه .

وعن عبد الله بن عمرو قال : إن أهل النار يدعون مالكا ولا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يدعون ربهم فيقولون . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ، ثم يقول اخسثوا فيها ولا تكلمون . تم ييأس القوم فها هو إلا الزفير والشهيق ، تشبه أصواتهم أصوات الحمير ، أولها شهيق . وآخرها زفير . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد .

قال القرطبي : هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيهما لا إلى غاية ولا أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال في كتابه الكريم ، وأوضح فيه من عذاب الكافرين (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم ، فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزي كل كفور ، وهم يصطرون فيها) إلى قوله (من نصير) وقال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) .

وقال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقد تقدمت هذه المعاني كلها ، فن قال إنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها وإنها تفتنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى العقول ، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين بوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهو الذي ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير .

قال فضل بن صالح المغافري : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم فقال لنا انصرفوا . فلما كان العشي رجعنا إليه فقال إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءني رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام في مسألة ، فقال : يا أبا عبد الله

ما تقول في أكل الجرجير فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم فقلت إنه لا بأس به ، فقال استودعتك الله وأقرأ عليك السلام . ذكره الخطيب أبو بكر أحمد .

وذكر أبو بكر عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد . يعنى من الموحدين ، هكذا رواه موقوفاً من قول عبد الله بن عمرو ، ليس فيه ذكر النبي ﷺ ومثله لا يقال من -جهة الرأى فهو مرفوع والله أعلم .

قال القرطبي : قد تقدم أن الموت معنى ، والكلام في ذلك وفي الأعمال ، وإنها لا تنقلب جوهرأ . بل يخلق الله أشخاصاً من ثوب الأعمال . وكذلك الموت يخلق الله كبشاً يسميه الموت ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا الموت . ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين .

قال الترمذى : والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم مثل سفیان الثورى ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم إنهم رووا هذه الأشياء ؛ وقالوا تروى هذه الأحاديث ولا يقال كيف . وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذى اختاره وذهبوا إليه .

قال القرطبي : وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم ، لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح وفي التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) إن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجدر يمه إلامات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء ، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم السلام

يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق الحجار ودون البغل ، لا تمر بثيء أو يجد .
ريحتها إلا حيي ، ولا تطأ على شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها
فألقاها على العجل فتخور وحيي . حكاها الثعلبي والقشيري عن ابن عباس ،
والموردي عن مقاتل والكلبي .

* * *

(باب)

فيمن يستحق النار

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفس محمد بيده ،
لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بما
أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» كذا في صحاح المصاييح . قال في مجالس .
الأبرار المراد بها أمة الدعوة ؛ فعلى هذا يدخل فيه جميع أهل الملل الباطلة ،
وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر لأنهما مع كونهما أهلى كتاب وصاحبى
شريعة إذا كانا من أهل النار بترك الإيمان بما جاء به النبي ﷺ فغيرهما ممن
لم يكن له كتاب ولا شريعة أولى بذلك ، فكأنه ﷺ قال أقسم بالله الذى
نفسى بقدرته (٧٤) أن كل من يسمع بنبوتى ولا يؤمن بما جئت به من عند
الله تعالى حتى يموت يكون من أهل النار ، انتهى .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال ألا إن
من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة
ستفترق على ثلاث وسبعين ؛ ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى
الجماعة ، أخرجه أبو داود فى كتاب السنة له ، وهذا الحديث ، رواه أبو داود .

(٧٤) لفظ الحديث « بيده » وهذا يفسره بالقدرة وهو خلاف ما عليه السلف .

من طريقين (أحدهما) من طريق أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي (والثاني) من طريق عمر بن عثمان عن بقية عن صفوان ، تفرد به صفوان عن أزهري .

قال الشوكاني في فتاواه : أما أحمد بن حنبل فهو الإمام الجليل الحافظ الذي اتفق المؤلف والمخالف على توثيقه وروى عنه أهل الصحيحين وغيرهما وهو أجل قدراً من أن يحتاج إلى تعديل وأرفع محلاً من أن يتكلم فيه متكلم بل هو إمام الجرح والتعديل وإمام الحفظ والإيمان .

وأما محمد بن يحيى فهو الإمام الجليل الثقة الثبت الحافظ ، وأما عمر بن عثمان فهو القرشي مولاهم الحمصي الثقة المشهور ، وفي (التقریب) صدوق ، وأما بقية فهو أحد الأعلام قال النسائي إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة ، وقال ابن عدي إذا حدث عن أهل الشام فهو ثبت . وقال الجوزجاني إذا حدث عن الثقات فلا بأس به ، وهو هنا قد صرح بالتحديث وحدث عن شامي وهو صفوان وروى عن ثقة وهو أيضاً صفوان ، فحصل الشرط الذي ذكره هؤلاء الأئمة الثلاثة وقد أخرج له مسلم ، وأما صفوان فقال أبو حاتم ثقة وقد أخرج له مسلم أيضاً ، وأما أزهري فقال في التقریب صدوق تكلموا فيه للنصب (٧٥) وقال في الخلاصة صدوق .

وإذا عرفت هذا فرجال إسناد الحديث كلهم ثقات أئمة إلا بقية وأزهري ، وبقية لم ينفرد به ، وأزهري تفرد وهو ضعيف لأن قولهم صدوق من صيغ التبيين فيكون هذا الحديث في الطريق الثانية ضعيفاً . انتهى كلام الشوكاني .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال تفرقت اليهود على إحدني وسبعين فرقة الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن

(٧٥) لعله كان يهتم بالنصب والنواصب فرقة ضالة

صحيح ، وفي رواية عن أبي داود « وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة » الحديث وأخرجه الترمذى عن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ إن بنى إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا واحدة . قالوا من هى يارسول الله؟ قال من كان على ما أنا عليه وأصحابى ، أخرجه الترمذى وقال غريب .

وأخرج ابن ماجه مثل ذلك عن عوف بن مالك وأنس .

والحديث دليل على أن اليهود والنصارى وفئة كثيرة من هذه الأمة على اختلاف فرقهم وملهم فى النار إلا أصحاب الحديث وأتباع الأصحاب .

والحديث استشكل من جهتين ، الأولى : ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك والكون فى النار ، وذلك يناهى الأحاديث الواردة فى الأمة بأنها مرحومة وبأنها أكثر الأمم فى الجنة منها حديث عنه ﷺ أمتى أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها ، وغيره مما ملئت به كتب السنة من الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله ، ولو سردناها لطال الكلام .

ولما كان حديث الافتراق مشكلا كما ترى أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة فى هذا الحديث أمة الدعوة لا أمة الإجابة يعنى الأمة التى دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإقرار بوحدياته هى المفرقة إلى تلك الفرق وإن أمة الإجابة هى الفرقة الناجية يريد بها من آمن بما جاء به النبي ﷺ وحينئذ فلا إشكال .

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى رحمه الله وهذا جواب حسن لولا أنه يبعد بوجوه : الأول أن لفظ أمتى حيث جاء فى كلامه ﷺ لا يراد به أمة الإجابة غالباً كحديث أمتى أمة مرحومة ليس لها عذاب فى

الآخرة وحديث إذا وضع السيف في أمتي وحديث ليكون في أمتي قوم يستحلون الحرير وغير ذلك مما لا يحصى .

فالأمة في كلامه ﷺ حيث أطلقت لا تحمل إلا على ما تعرف منها وعهد بلفظها ولا تحمل على خلافه وإن جاء نادراً .

والثاني : قوله ستفرق بالسين الدالة على أن ذلك أمر مستقبل .

الثالث : قوله « ليأتين على أمتي » فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ولو جعلناه إخباراً بافتراق المشركين في المستقبل لما كان فائدة ، إذ هم على هلاك اجتمعوا أو افترقوا .

الرابع : قرانهم بطائفتين اليهود والنصارى فإن المفرقين منهما هم طائفة الإجابة لظاهر قوله تعالى (وما تفرق الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) وقوله تعالى (وما اختلف فيه إلا الذين أتوه من بعد ما جاءهم العلم) وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم) .

الخامس : ما أخرجه الترمذي عن أبي وائل الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة خيبر مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ سبحان الله إلى أن قال والذي نفسي بيده تركبن سنن من قبلكم ، وهذا خطاب لمن خاطبه من أمة الإجابة قطعاً .

فالذي يظهر لي في ذلك أجوبة ، أحدها : أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد ولا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية فلا يتم أكثرية الهلاك ولا يرد الإشكال .

فإن قيل : يمنع عن هذا أنه خلاف الظاهر من ذكر كثرة عدد فرق

الهلاك فإن الظاهر أنهم قدراً ، قلت ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة المهالكين وإنما هو البيان اتساع طريق الضلال وسعتها ووحدة طريق الحق ، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله تعالى (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) أنه جمع السبل المنهى عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها وأفرد سبيل الهدى والحق لوحده وعدم تعدده .

ثانيها : أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفريطها ، كأنه قيل هالكة باعتبار أعمالها محكوم عليها بالهلاك وكونها في النار ، ولا ينافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر من رحمة الله لها وشفاعة صالحها والفرقة الناجية إن كانت مفتقرة إلى رحمة الله تعالى لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة لإتيانها بما أمرت به وانتهائها عما نهيت عنه .

ثالثها : أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها في الدنيا ، وقد دل على عقابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا . أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسى الأشعري ، فيكون حديث الافتراق مقيداً بهذا الحديث في قوله هالكة ما لم تعاقب في الدنيا لكنها تعاقب في الدنيا فليست بهالكة .

رابعها : أن الإشكال في حديث الافتراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة بمعنى أن الافتراق في الأمة وهلاك من يهلك منها دائم مستمر من زمن تكلمه ﷺ بهذه الجملة إلى قيام الساعة ، وبذلك يتحقق أكثرية المهالكين وأقلية الناجين فيتم الإشكال ، والحق أن القضية حينية بمعنى أن ثبوت الافتراق للأمة والهلاك لمن يهلك ثابت في حين من الأحيان وزمن من الأزمان ، ويبدل على أن المراد ذلك وجوه .

الأول : « ستفرق » الدالة على الاستقبال لتحلية المضارع بالسين .

الثاني : قوله « ليأتين » فإنه إخبار بأمر مستقبل .

الثالث : قوله « ما أنا عليه وأصحابي » فإن أصحابه من مسمى أمته بلا خلاف وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة وأنهم الناجون ، وأن من كان على ما هم عليه هم الناجون ، فلو جعلنا القضية دائماً حين التكلم للزم أن تكون تلك الفرق كائنة في أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وهلم جرا ، وقد صرح الحديث نفسه بخلاف ذلك .

فإذا ظهر لك أن الحكم بالافتراق والهلاك إنما هو في حين من الأحيان وزمن من الأزمان لم يلزم أكثرية المهالكين وأقلية الناجين ، وهذا الجواب بحمد الله تعالى والذي قبله جيد ولا غبار عليه .

فإن قلت يجوز أن يكون زمن الافتراق أطول من زمن خلافه فيكون أهله أكثر فيكون المهالكون أكثر من الناجين ، قلت أحاديث سعة الرحمة وأكثرية الداخلين من هذه الأمة إلى الجنة قد دلت على أن المهالكين أقل وذلك لقصر حينهم المتفرع عليه ، فلا بد من الجمع بين ما يوجب التناقض وقد تم الجمع بهذا الوجه وما قبله فتعين المصير إليهما .

هذا ولا يبعد أن ذلك الحين والزمان هو آخر الدهر الذي وردت الأحاديث بفنساده وفسوا الباطل وخفاء الحق وإن القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأنه الزمان الذي يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسى كافراً ، وأنه زمان غربة الدين ، فتلك الأحاديث الواردة فيه التي شحنت بها كتب السنة قرائن دالة أنه زمان كثرة المهالكين وزمان تفرق وتدابير ، ويحتمل أيضاً أن الافتراق كائن من بعد القرون المشهور لها بالخيرية وأن في كل قرن بعدها فرقاً من المهالكين وأكثرها في آخر الزمان ، وهذا جواب مستقل عن الإشكال .

الجهة الثانية من جهتي الإشكال في تعيين الفرقة الناجية .

قد تكلم الناس فيها ، كل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهاناً أوهن من بيت العنكبوت ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ويعمد إلى ما شئت به من الأقوال ليبين بذلك أنها هالكة لاعتمادها على تلك الأقوال ، وأنه ناج بخلوصه عنها ، ولو فتش ما انطوى عليه لوجد عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه لكن عين المرء كيلة عن عيب نفسه وبالجملة :

فكل يدعى وصلاً لليلي وليلى لا تقر لهم بذلك

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتبني بالتفسير النبوي لتلك الفرقة فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المثونة وعين الفرقة الناجية بأنها من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه وقد عرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم حتى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم حتى كأننا رأيناهم رأى العين .

وبعد ذلك فمن رزقه الله إنصافاً من نفسه وجعله من أولى الأبواب لا يخفاه حالة نفسه أولاً هل هو متبع لما كان عليه النبي ﷺ أو غير متبع ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة هل هي متبعة أو مبتدعة ، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية متقيد بها تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذبها فإن ما كان عليه النبي ﷺ لقد ظهر لكل إنسان ، فلا يمكن التباس المتدع بالممتنع .

وعندي على تقدير ذلك الجواب أن زمن الافتراق والهلاك هو آخر الزمان أنه لا بعد في أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم في الأحاديث كحديث بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل ومن هم يارسول الله؟ قال الذين يصلحون إذا فسد الناس، وفي رواية الذين يفرون بدينهم من الفتن، وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي .

وفي حديث عبد الله بن عمرو قلنا من الغرباء يا رسول الله؟ قال قوم صالحون قليل في أناس سوء كثير من يعصمهم أكثر ممن يطيعهم ، وهم المرادو بحديث « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله » وهم المرادون بما أخرجه الطبراني وغيره .

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال : إن لكل شيء إقبالا وإدباراً وإن لهذا الدين إقبالا وإدباراً وإن من إدبار الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وإن من إقبال الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان إن تكلمتا قهرا وقعا واضطهدا وأن من أدبار الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يكون فيها إلا الفقيه والفقهاء وهما مقهوران ذليلان أن تكلمتا فأمرنا بالمعروف ونهيا عن المنكر قعا وقهرا واضطهدا فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً .

فهذه الأحاديث وما في معناها في وصف آخر الزمان وأهله قد دلت على أنه زمان كثرة الهالكين وقلة الناجين ، وأحاديث الغرباء قد دلت على أوصافهم بأنهم الفرقة الناجية في ذلك الزمان وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعريين والمعترزة بل هم النزاع من القبائل كما في الحديث ، وهم متبعو الرسول ﷺ اتباعاً قولياً وفعلياً من أى فرقة كانت ، هذا وقد ذكر في الفرقة الناجية أنهم صالحو كل فرقة ، وذكر أنهم أهل البيت النبوي عليهم السلام ومن اتبعهم إلا أن ذلك مبنى على أن القضية دائمة ثم هو لا يدفع الإشكال .

نعم وهذا كله توفيق بين الأحاديث مبنى على صحة قوله « كلها هالكة إلا فرقة » ولاشك أنه قد ثبت في كتب السنة كما سمعته ولكنه قد نقل السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزيرى رحمه الله في بعض رسائله عن أبي محمد ابن حزم الأندلسى رحمه الله ما لفظه قال أبو حزم إن الزيادة يعنى قوله

«كلها هالكة إلا فرقة» موضوعة وإنما الحديث المعروف «إنما تفرق إلى نيف سبعين فرقة» لا زيادة على هذا في نقل الثقات .

فالحديث المشهور كان عند المحدثين معلا ، وما زاده غير صحيح وإن كان الراوى ثقة غير أن مخالفة الثقات فيما شاركوه في الحديث يقوى الظن على أنه وهم فيما زاده أو أدرج في الحديث كلام بعض الرواة وحسبه من كلام رسول الله ﷺ فيعلون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحاً فيه ، على أصل الحديث الذى حكموا بصحته ليس مما اتفقوا على صحته ، وقد ترك إخراج البخارى ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطها فيه ، انتهى كلامه حرره السيد العلامة الأمير رحمه الله فى سنة ١١٣٣ الهجرية .

وفى الفتح الربانى فى فتاوى الشوكانى بعد ذكر حديث أبى هريرة المتقدم والكلام عليه جرحاً وتعديلاً مانصه : فتقرر بهذا أن رجال حديث أبى هريرة رجال الصحيح فىكون أصل الحديث أعنى افتراق الأمة إلى تلك الفرق صحيحاً ثابتاً .

وأما الزيادة التى فى الحديث الأول^(٧٦) فضعيفة فلا تقوم بها حجة فى حكم شرعى ولو على بعض المكلفين ، فكيف فى مثل هذا الأمر العظيم الذى هو حكم بالهلاك على هذه الأمة المرحومة شرفها واختصها بخصائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة ، وزادها شرفاً وتعظيماً وتجليلاً بأن جعلها شهداء على الناس ، وأى خير فى أمة تفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعاً فلا ينجو منها إلا فرقة واحدة .

ولقد أحسن بعض الحفاظ حين يقول . وأما زيادة «كلها هالكة

(٧٦) أى حديث مابوية .

إلا واحدة « فزيادة غير صحيحة القاعدة وأظنها من دسيس الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحافظ أبو حزم .

ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس الملاحدة والزنادقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه مالا يقادر قدره فتحصل لواقعها ما يطلبه من الطعن على هذه الأمة المرحومة والتنفير عنها كما هو شأنها كثير من المخزولين الواضعين للمطاعن المنافية للشريعة السمحة السهلة كما قال الصادق عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال الله عز وجل (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال عليه السلام بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا .

وها أناذا أضرب مثلاً وهو أنك لو رأيت جماعة من الناس قد اجتمعوا في مكان من الأرض عددهم اثنان وسبعون رجلاً وقال لك قائل ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملك ما طلعت عليه الشمس وسيضرب أعناق الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتعطى تلك المملكة ، فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلاً بينهم والحال هكذا ولا يدري من هذا الواحد منهم يدعى لنفسه أنه الفائز بالعلامة الظافر بالغنيمة بمجرد الأمانة والدعوى العاطلة عن البرهان .

فإن قلت إن قوله في هذا الحديث في الفرقة الناجية هي الجماعة ، وقوله في حديث آخر وهي ما أنا عليه وأصحابي ، قلت هذا التعيين وإن قلل شيئاً من ذلك التخويف والتنفير لكن قد تعاورت هذه الفرقة المعينة الدعوى وتناوبتها الأمانى ، فكل طائفة من الطوائف تدعى لنفسها أنها الجماعة وأنها الظافرة بما كان عليه النبي عليه السلام وأنهم الذين لا يزالوا على الحق ظاهرين .

فإن قلت إن معرفة الجماعة ومعرفة المتصفين بموافقة ما كان عليه النبي عليه السلام وأصحابه ممكنة ومن ادعى من المبتدعة إثبات ذلك الوصف لنفسه

فدعواه مردودة عليه مضروب بها في وجهه ، قلت نعم ولكن ليس هاهنا حجة شرعية توجب علينا المصير إلى هذا التعيين وتلجثنا إلى تكلف تعيين الفرق الهالكة وتعدادها فرقة فرقة كما فعله كثير من المتكلمين للكلام على هذا الحديث .

وأما أنه هل يدل هذا الحديث على الافتراق قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوص فالجواب عنه أن الافتراق لما كان منسوباً إلى الأمة حيث قال ﷺ تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كما في حديث أبي هريرة وكذلك قوله في حديث معاوية المذكور وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، كان ذلك صادقاً على هذه الأمة بأسرها وعلى هذه الأمة أولها وآخرها من دون تخصيص ببعض منها دون بعض ولا بعصر دون عصر ، فأفاد ذلك أن هذا الافتراق المنتهى إلى ثلاث وسبعين فرقة كأن في جميع هذه الأمة من أولها إلى آخرها ، ومن زعم اختصاص ذلك بأهل عصر من العصور أو بطائفة من الطوائف فقد خالف الظاهر بلا سبب يقتضي ذلك .

وأما أنها قد ثبتت نجاة الصحابة فهل يدل على أنهم لم يختلفوا في الأصول أصلاً ، فالجواب عنه أنه لا ملازمة بين نجاة جميع الصحابة وبين عدم اختلافهم في الأصول بل يجوز الحكم بنجاتهم جميعاً مع الحكم باختلافهم في الأصول .

وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية عندى متساوية الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبة واحدة وكون بعضها راجعاً إلى العمل لا يستلزم تعاونها على وجه يكون الاختلاف في بعضها موجباً لعدم نجاة بعض المختلفين وفي بعضها لا يوجب ذلك ، فاعرف هذا وافهمه .

واعلم أن ما صح عنه ﷺ من أن المصيب في اجتهاده له أجران والمخطئ له أجر لا يختص بمسائل العمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد فما يقوله كثير

من الناس من الفرق بين المسائل الأصولية والفروعية وتصويب المجتهدين في الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغي بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر .

فالحق عند الله عز وجل متعين يستحق موافقة أجريين ، ويقال له مصيب من الصواب دون الإصابة ويقال لمخالفه إنه مخطئ كما قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما من حديث عمرو بن العاص أن اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر وفي بعض الروايات الخارجية عن الصحيح من غير حديثه أنه إن أصاب فله عشرة أجور وهذه زيادة خارجة من مخرج حسن كما هو معروف .

فالنبي ﷺ قد سمي من خالف الحق مخطئاً فن قال إنه مصيب في الظنيات الفروعية إن أراد أنه مصيب من الإصابة فقد أخطأ وخالف النص وإن أراد أنه مصيب من الصواب الذي يصح إطلاقه باعتبار استحقاق الأجر لا باعتبار إصابة الحق فلذلك وجهه ، فاعرف هذا وأفهمه حتى يتبين لك اختلاف الناس في أن كل مجتهد مصيب أم لا .

واعلم أنه لا فرق عند التحقيق بين ماتسميه الناس فروعاً وبين ما يسمونه أصولاً ، هذا إن كان مطلوب السائل ما هو عند المحجب ، وإن كان مطلوبه ما قاله الناس فكلامهم معروف في مؤلفاتهم . انتهى كلام الشوكاني رحمه الله .

(باب)

في سوء الخاتمة وبيان الخوف والرجاء

قال في مجالس الأبرار . وله أسباب يجب على المؤمن أن يحترز عنها ، منها الفساد في الاعتقاد وإن كان مع كمال الزهد والصلاح ، فإن كان له فساد في اعتقاده مع كونه قاطعاً به متيقناً له غير ظان أنه أخطأ فيه قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحققة مثل هذا الاعتقاد باطل لا أصل له إن لم يكن عنده فرق بين اعتقاد واعتقاد ، فيكون الكشف بطلان بعض اعتقاداته سبباً لزوال بقية اعتقاداته ، فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان يحتم له بالسوء ويخرج من الدنيا بغير إيمان ، فيكون من الذين قال الله تعالى فيهم (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وقال في آية أخرى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

فإن كل من اعتقد شيئاً على خلاف ما هو عليه إما نظراً برأيه وعقله أو أخذاً من هذا حاله فهو واقع في هذا الخطر : ولا يدفعه الزهد والصلاح ، وإنما يدفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب الله وسنة رسوله ، لأن العقائد الدينية لا يعتد بها إلا ما أخذت منهما .

ومنها الإصرار على المعاصي ، فإن من له إصرار عليها يحصل في قلبه إلفها ، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره عند موته ، فإن كان ميله إلى الطاعات أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات ، وإن كان ميله إلى المعاصي أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر المعاصي ، فربما يغلب عليه حين نزول الموت به قبل التوبة شهوة ومعصية من المعاصي فيتقيد قلبه بها وتصير حجاباً بينه وبين ربه ، وسبباً لشقاوته في آخر حياته لقوله ﷺ : المعاصي بريد الكفر .

والذى لم يرتكب ذنباً أصلاً أو ارتكب وتاب فهو بعيد عن هذا الخطر ،
وأما الذى ارتكب ذنوباً كثيرة حتى كانت أكثر من طاعاته ولم يتب عنها ، بل
كان مصراً عليها ، فهذا الخطر فى حقه عظيم جداً إذ قد يكون غلبة الإلـف بها
سبباً لأن يتمثل فى قلبه صورتها ، ويقع منه ميل إليها وتقبض روحه عليها
فيكون سبباً لسوء خاتمته .

ويعرف ذلك بمثال ، وهو أن الإنسان لاشك أنه يرى فى منامه من
الأحوال التى ألفها طول عمره ، حتى إن الذى قضى عمره فى العلم يرى من
الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء والذى قضى عمره فى الحياطة يرى من الأحوال
المتعلقة بالحياطة والحياط ، إذ لا يحضر فى حال النوم إلا ما حصل له مناسبة
مع قلبه لطول الإلـف . والموت وإن كان فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه
من الغشى قريب من النوم ، فطول الإلـف بالمعاصى يقتضى تذكرها عند
الموت وعودها فى القلب وتمثلها فيه وميل النفس إليها ، وإن قبض روحه
فى تلك الحالة يحتم له بالسوء .

ومنها العدول على الاستقامة ، فإن من كان مستقيماً فى ابتدائه ثم تغير
عن حاله وخرج مما كان عليه فى ابتدائه يكون سبباً لسوء خاتمته ، كما إبليس
الذى كان فى ابتدائه رئيس الملائكة ومعلمهم وأشدهم اجتهاداً فى العبادة ؛
ثم لما أمر بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين (٧٧) ، وكبلعام بن
باعور الذى آتاه الله آياته فانسخ بخلوده إلى الدنيا واتبع هواه وكان من
الغاوين ، وكبر صيصاً العابد الذى قال له الشيطان أكفر فلما كفر قال إني
برىء منك إني أخاف الله رب العالمين ، فإن الشيطان أغراه على الكفر فلما كفر
تبرأ منه مخافة أن يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك ، كما قال تعالى (وكان
عاقبتهم فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) .

(٧٧) رئاسة إبليس للملائكة كلام لا أصل له .

ومنها ضعف الإيمان : فإن كان في إيمانه ضعف يضعف حب الله تعالى فيه ويقوى حب الدنيا قلبه ويستولى عليه بحيث لا يبقى موضع فيه لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس ، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي ولا في الحث على الطاعات ، فينهمك في الشهوات وارتكاب السيئات ، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تغطي ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه ، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً في قلبه لما يرى أنه يفارق الدنيا وهي محبوبة له وحبها غالب عليه لا يريد تركها ويتألم من فراقها ، ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى أن يحصله في باطنه بغضه تعالى بدل الحب وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً ، فإن خرج روحه في اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة يحتم له بالسوء ويهلك هلاكاً مؤبداً .

والسبب المفضى إلى هذه الخاتمة حب الدنيا والركون إليها والفرج بها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ، وهو الداء العضال الذي قد عم أكثر الخلق فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى لغيره متسع ، فإن خرج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوساً إلى الدنيا ووجهه مصروفاً إليها ، ويحصل بينه وبين ربه حجاب .

حكى أن سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة حاجاً قال : هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة ؟ قالوا نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟ قال إنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب ، قال صدقت ، ثم قال ليت شعري مالنا عند الله تعالى ؟ قال أعرض عملك على كتاب الله ، قال فأين أجده ؟ قال في قوله تعالى (إن الأبرار لني نعيم وإن الفجار لني جحيم) .

قال فأين رحمة الله ؟ قال (رحمة الله قريب من المحسنين) .

قال ياليت شعري كيف العرض على الله تعالى غداً ؟ قال أما المحسن فكالغائب الذي يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكي سليمان حتى علا صوته واشتد بكاءه ثم قال : أوصني ، قال إياك أن يراك الله تعالى حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . انتهى .

قال الغزالي في الإحياء : إن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم له ، والحب يغلب بالرجاء ، قال وإن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين .

ثم ذكر دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه جال الرجاء ويغلب . ثم ذكر الآيات والأخبار والآثار الدالة على ذلك ، ثم اتبعه بيان حقيقة الخوف وبيان دواء الخوف ، وبيان معنى سوء الخاتمة ، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء والصالحين ، وبيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف ، وبيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما ، وبيان الدواد الذي يستجيب به حال الخوف والإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة ، والرجاء والخوف يقويان على الصبر ، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء ، والنار قد خفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف . ولذلك قال علي عليه السلام : من أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات .

قال النووي في رياض الصالحين : إن المختار للعبد في حال الصحة أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفي حال المرض يتمحض الرجاء ، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك ، قال تعالى (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) وقال تعالى

(إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) وقال تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقال تعالى (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين متترتين أو آيات أو آية .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من رحمه ماقنط من جنته أحد » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنسار مثل ذلك . رواه البخارى . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يلج النار رجل يبكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ؛ رواه الترمذى وحسنه وصححه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخضاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . متفق عليه .

وعن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى » رواه الترمذى وقال حديث حسن وفي الباب أحاديث كثيرة ا . ه .

قلت وفي الإحياء : وسوء الخاتمة على رتبتين (إحداهما) أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة فهي أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور

أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على تلك الحالة فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً ، وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب الخلد .

(والثانية) وهى دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لغيره ، فهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ، وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتؤكد ذلك بالأعمال الصالحة يحووا عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت ، فإن كان إيمانه فى القوة إلى حد مثقال أخرجته من النار فى زمان أقرب ، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه فى النار ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين وكل من اعتقد فى الله تعالى وفى صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وإما نظراً بالرأى والمعقول فهو فى هذا الخطر ، والزهد والصلاح لا يكتفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه إلا الاعتقاد الحق على وفق الكتاب العزيز والسنة المطهرة والبله بمعزل عن هذا الخطر .

ولكن الآن قد استرخى العنان ، وفشا الهاديان ونزل كل جاهل على وفق طبعه بظن أو حساب ، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان ، وأنه صفوة الإيمان ، ويظن أن ما قنع به من حدس وتخمين : علم اليقين وعين اليقين ويعلمن نبأه بعد حين وينبغى لمن ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء .

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تحفِ سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وأما الخاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست مقتضية للخلود فى النار فلها أيضاً سببان :

أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان ، والآخر ضعف الإيمان وإن .
 قلت المعاصي ، وليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال
 المعرفة وإلا فليس أمننا لقلّة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت
 علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا ، فلا قرب الرحيل
 ينهنا ، ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ،
 ولا خطر الخاتمة يزعجنا ، فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضلّه وجوده أحوالنا
 فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا .

فلما قسى قلبي وضائق مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
 يعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
 فازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجرد وتعفو منه وتكرما

وبالحيلة فالخاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها ، وقد قال صليّة بن أشيم على
 قبر أخ له .

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

ويوم القيامة يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم
 لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم ولا يأكلون فيه ولا يشربون ولا يجدون
 فيه روح نسيم حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً ، واحترقت أجوافهم جوعاً ،
 انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لفحها ، فتأمل
 في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن
 المعاصي في عمرك المختصر .

ثم تفكر بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير
 ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والتقير والقطمير والجليل والحقير ، ويؤتى
 بالميزان ويطار الكتب إلى الشائل والأيمان ، وتكثر الحصاء ويساقون إلى

الصراط ويغضب الرب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وقد أخبرت بأن النار مورد للجميع فأنت من الورود على يقين ، ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك هو ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه .

فهذه أهوال يوم القيامة وأصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غومها وأحزانها ومحنا وحسراتها لا نهاية له ، وقد تصدى لذكرها القرطبي في التذكرة وأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذا لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكفرة منغصة .

فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به لم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها قال أحمد بن حرب أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح ، غداً بين أطباق النار يصيح ، فانظر في هذه الأحوال .

واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه ، وقال تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ولكن ما قضى الأمر يوم . بل في أزل الآزال ، ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولشك تدري أن القضاء بما ذا سبق في حقلك .

فإن قلت فليت شعري ماذا موردى ، وإلى ماذا مالى ومرجعى ؟ وما الذى سبق به القضاء في حقى ؟ فلك علامة تستأنس بها وتصديق رجاءك يسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك .

فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد بسرك سبيل الخير فابشر فإنك
مبعد عن النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه
ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا
على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار ، فقد قال تعالى :
(إن الأبرار لني نعيم ، وإن الفجار لني جحيم) فأعرض نفسك على الآيتين
وقد عرفت مستقرك من الدارين .

* * *

(باب)

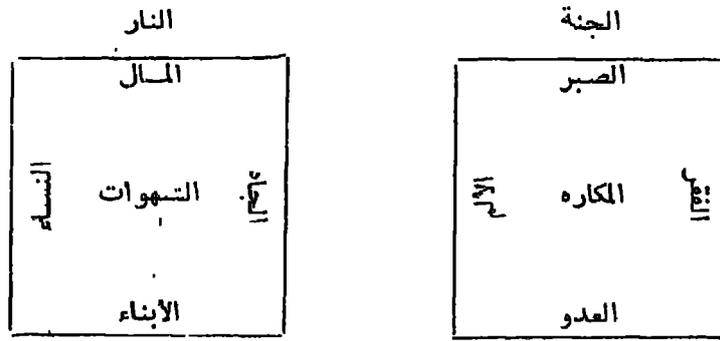
حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل النار وأهل الجنة

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، أخرجه مسلم وأخرجه أيضاً البخارى ، قال وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب ، ويعنى بالمكاره : المشقة مثل التكليف الشرعية أمراً ونهياً ، بالشهوات مرارات النفس ومستلذاتها وأهويتها ، وتقدم فى أول الكتاب حديث إرسال الله جبريل عليه السلام إلى الجنة والنار وهو عند الترمذى وأصحاب السنن عن أبى هريرة وقال فيه أبو عيسى حديث حسن صحيح .

قال القرطبي : المكارة كل ما يشق على النفس فعله ، ويصعب عليها عمله كالطهارة فى الصلوات وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المصائب والمصيبات ، وجميع المكروهات ، والشهوات كل ما يوافق النفس ويلامعها وتدعو إليه ويوافقها وأصل الجناف الدائر بالشىء المحيط به الذى لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى ، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك والجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها ، والنار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها .

ولقد روى عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال : طريق الجنة حزن ربوة ، وطريق النار سهل بسهوة . ذكره صاحب الشهاب ، والحزن وهو الطريق الوعر المسلك ، والربوة هو المكان المرتفع وأراد به ما يكون من الروابي ، والسهوة بالسین المهملة هو الموضع السهل الذى لا غلظ فيه ولا وعورة .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين له في الحديث :
 أى جعلت على حافتها وهى جواربها ، وتوهم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعلها
 فى جواربها من الخارج . ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هى من داخل
 وهذه صورته .



وعن هذا عبر ابن مسعود بقوله الجنة حفت بالمكارة وحفت النار
 بالشهوات فمن اطلع الحجاب فقد واقع ماوراءه وكل من تصورهما من خارج
 فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال . وفى الصحيحين « حجت »
 بدل حفت فى الموضعين .

قال القرطبي فإن قيل : قد قال حجت النار بالشهوات قلنا المعنى واحد
 الأعمى عن التقوى الذى قد أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى
 النار التى هى فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر
 يرى الحبة فى داخل الفخ وهى محجوبة عنه لأنه لا يرى الفخ لعلبة شهوة الحبة
 على قلبه ، وتعلق باله بها ، وجهله بما جعلت فيه وحجت . انتهى .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما رأيت مثل
 النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها ، أخرجه الترمذى وقال
 هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله ، وهو ضعيف عند أهل
 الحديث ، تكلم فيه شعبة .

وقد سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله : ما عمل أهل النار وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : عمل أهل النار الإشراف بالله تعالى أو التكذيب للرسول والكفر والحسد والكذب والحياطة والظلم والفواحش والغدر وقطيعة الرحم والجبن عن الجهاد والبخل واختلاف السر والعلانية واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والجزع عند المصائب والفخر والبطر عند النعم وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرمانه وخوف المخلوق دون الخالق ، والعمل رياء وسمعة ومخالفة الكتاب والسنة ، أى اعتقاداً وعملاً ، وطاعة المخلوق فى معصية الخالق والتعصب للباطل واستهزاء بآيات الله وجحد الحق والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة ، والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وأما عمل أهل الجنة فالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره والشهادتان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ومن أعمال أهل الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلمة الأرحام والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهايم ، ومن أعمالهم الإخلاص لله والتوكل عليه والمحبة لله ورسوله وخشية الله ورجاء رحمته والإنابة إليه والصبر على حكمة والشكر لنعمته وقراءة القرآن وذكر الله ودعاؤه ومسألته والرغبة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد فى سبيل الله مع الكفار والمنافقين .

ومن أعمالهم أن يصل من قطعه ويعطى من حرمة ويعفو عن ظلمه ، فإن الله أعد الجنة للمتقين الذين يتفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، ومن أعمالهم العدل فى جميع الأمور

وعلى جميع الخلق حتى الكفار وأمثال هذه الأعمال والتجافي عن دار الغرور ،
والإنابة إلى دار الخلود ، فعمل أهل الجنة الإيمان والطاعة وعمل أهل النار
الكفر والفسوق والعصيان .

وتفصيل الجملتين لا يمكن لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله
ورسوله وأعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله فمن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ،
ومن يعص الله ورسوله يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين . انتهى كلام
شيخ الإسلام . وهو كالشرح لحديث الباب « حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالنهوات » وكتاب شعب الإيمان للبيهقي يشتمل على أشياء هي من أعمال
أهل الجنة، وهو ست مجلدات في سبعة وسبعين باباً اختصره أبو حفص عمر
ابن علي القزويني الإمام بجامع الخليفة ببغداد في نحو كراستين .

وأصل الكتاب حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه
قال الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها أو فأرفعها
أو فأفضلها على اختلاف الروايات قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى
عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان فالإيمان وشعبه هذه كلها من أعمال أهل
الجنة وهذا بيانها بحذف الأدلة على سبيل التعديد .

فالأول منها الإيمان بالله عز وجل ، ثم الإيمان برسل الله ، ثم بالملائكة ثم
بالقرآن ثم بالقدر خيره وشره وأنه من الله عز وجل ، ثم باليوم الآخر ثم بالبعث
بعد الموت ثم بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف ، ثم بأن دار
المؤمنين ومآبهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار ، ثم بوجوب محبة الله تعالى
ثم بوجوب الخوف منه عز وجل ، ثم بوجوب الرجاء منه سبحانه وتعالى .

ثم بوجوب التوكل عليه تبارك وتعالى ، ثم بوجوب حب النبي ﷺ
ثم بوجوب تعظيمه ﷺ وتبجيله وتوقيره ، ثم شح المرء بدينه حتى يكون

القلذف فى النار أحب إله من الكفر، ثم طلب العلم وهو معرفة البارى تعالى وصفاته وما جاء من عند الله وعلم النبوة وما تميز به النبى عن المتنبى وعلم أحكام الله تعالى وأقضيته ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة، والقرآن والحديث مشحونان بفضائل العلم والعلماء وفيه كتاب مفتاح دار السعادة للمحافظ ابن القيم رحمه الله وهو كتاب لا يوجد نظيره فى الإسلام ثم نشر العلم ثم تعظيم القرآن المحيد بتعلمه وتعليمه، وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه، وتكريم أهله وحفاظه واستشعار ما يهيج البكاء من مواعظ الله ووعيده ثم الطهارة ثم الصلوات الخمس ثم الزكاة ثم الاعتكاف ثم الحج ثم الجهاد.

وفى ذلك كتاب « العبرة بما جاء فى العزو والشهادة والهجرة » لهذا العبد عفا الله عنه وهو نفيس جداً فى هذا الباب مغن عن كثير من الكتب ثم المرابطة فى سبيل الله تعالى، ثم الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف، ثم أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله على الغانمين وكل ذلك مذكور فى كتابى المسطور، ثم العتق وفك الرقبة ثم الكفارات الواجبات بالجنائيات وهى فى الكتاب والسنة أربع :

كفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس فى صوم رمضان، ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها إما عن ذنب سبق أو يراد به التقرب إلى الله تعالى بشىء يعنى أثر أمر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب ثم ثم الإيفاء بالعقود ثم تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها، ثم حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه، ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفحش ثم أداء الأمانات إلى أهلها ثم تحريم قتل النفوس والجنائيات عليها ثم تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف ثم قبض اليد عن الأموال المحرمة.

ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وكل مالا يستحقه شرعاً، ثم وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها.

وهي أنواع كثيرة مبسطة في كتب السنة والكتاب ثم تحريم الملابس والزي والأواني وما يكره منها، ثم تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة، ثم الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل، ثم ترك الغل والحسد ونحوهما من الخصال المذمومة على لسان الشرع، ثم تحريم أعراض الناس وما يجب من ترك الوقعة فيها ثم إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء والسمة ثم السرور بالحسنة والاعتماد بالسيئة، ثم معالجة كل ذنب بالتوبة ثم القرابين وجملة الهدى والأضحية والعقيقة، ثم طاعة أولى الأمر إلا في معصية الخالق ثم التمسك بما عليه جماعة أهل السنة والكتاب ثم الحكم بين الناس بالعدل ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم التعاون على البر والتقوى ، ثم الحياء ثم بر الوالدين ثم صلة الأرحام ثم حسن ، الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع ثم الإحسان إلى الممالك ثم حق السادة على الممالك وهو لزوم العبد وسيدته وإقامته حيث يراه له ويأمر به وطاعته فيما يطبقه .

ثم حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه لإياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه ، ثم مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك ، ثم رد السلام ثم عيادة المريض ثم صلاة الجنائز ثم تسميت العاطس ، ثم مبعادة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم .

ثم إكرام الجار ثم إكرام الضيف ثم السر على أصحاب القروف أى الذنوب ، ثم الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذه وشهوة .

ثم الزهد وقصر الأمل ، ثم الغيرة وترك المراء ، ثم الإعراض عن اللغو ، ثم الجود والسخاء ثم رحمة الصغير وتوقير الكبير . ثم إصلاح ذات البين ، ثم أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق والنصح لكل مسلم . وفي حديث أنس في صحيح البخارى لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

فهذه سبع وسبعون شعبة من شعب الإيمان دلت عليه أدلة الكتاب والسنة ذكرها البيهقى في شعب الإيمان ، وزاد القزوينى عليها في بعض الشعب آية أو آيات أو حدثنا أو كلمات أو حكاية أو حكايات أو بيتاً أو أبياتاً لم يذكرها البيهقى .

وإذا أحطت بما ذكرنا علماً عرفت أن ذلك كله من المكاره التى حفت بها الجنة وأن خلاف ذلك كله من الشهوات التى حفت بها النار ، وهذا باب واسع جداً لا يتسع لبسطه هذا المقام وفقنا الله سبحانه وتعالى لاحتمال المكاره المنجيات وجنبنا عن الشهوات الموبقات .

هذا وأقول (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .

(باب)

من دخل النار من الموحدين ومات واحترق ثم
يخرجون بالشفاعة

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً تدر كههم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغناء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة . أخرجه الترمذى وقال هذا حديث صحيح قد روى من غير وجه عن جابر .

وعن أبي سعيد الخدرى أن النبي ﷺ قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان قال أبو سعيد فن شك فليقرأ : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) أخرجه الترمذى وحسنه وصححه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماهم الله إمامة حتى إذا كانوا فحمماً أذن لهم في الشفاعة فجىء بهم ضبائر (٧٨) فبثوا (٧٩) على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة في حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى بالبادية .

قال القرطبي هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلداً فيها كلها نضجت إجلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ،

(٧٩) أى فرقوا .

(٧٨) أى جماعات جماعات .

وقيل يجوز أن تكون إمامتهم عبارة من تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ولا يكون ذلك موتاً حقيقة فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ.

وقد سماه الله وفاة فقال : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة التي هي خروج الروح عن البدن وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت في قوله تعالى (فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) وأخبر عن موسى عاياه السلام أنه خر صعقاً ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتاً ، وكذلك يجوز أن يكون إمامتهم غيبتهم عن الآلام وهم أحياء بلطفية يحدثها الله فيهم كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغبن به عن آلامهن .

والتأويل أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ولقوله في نفس الحديث حتى إذا كانوا فحماً ، فهم أموات على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات .

فإن قيل ما معنى إداخلهم النار وهم غير عالمين لا قيل أن يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يعذبهم فيها ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجون فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال يخرج أو أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ، أخرجته الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه عن النبي ﷺ قال : يقول الله أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام ، أخرجته الترمذى وقال حديث حسن غريب .

(باب)

في الشفعاء وذكر الجهنميين

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان ، أخرجه ابن المبارك .

وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وفيه بعد قوله في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم أخرجوا من عرفم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً ، منهم من أخذته النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون ربنا ما بقي أحد من أمرتنا به ، فيقول جل جلاله ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً من أمرتنا به . ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون :

ربنا لم نذر ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ، وكان أبو سعيد يقول إن لم تصابقوني بهذا الحديث فاقرعوا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين .

وفي البخاري بداهة « وبقيت شفاعة » فيقبض قبضة من النار فيخرج.

منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلهم على نهر على أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحية في حميل السيل ألا ترونها يكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض .

فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفونهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون ربنا وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضاي لا أسخط عليكم بعده أبداً . أخرجه ابن ماجه . وفي الباب أحاديث وروايات بطرق وألفاظ .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت العرش : إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين ، قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثل أهل الجنة ، قال وأكثر ظني أنه قال مثل أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله .

وفي هذه الأحاديث فوائد كثيرة : منها أن الإيمان يزيد وينقص ، ومنها أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان ، ومنه قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم ، وقيل المراد في هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول أخرجوا من عمل عملاً بنية من قلبه لقوله « الأعمال بالنيات » ويجوز أن يكون المراد به رحمة على مسلم ، رقة على يتيم خوفاً من الله تعالى رجاء له توكل عليه ثقة به ، مما هي أفعال القلب دون الجوارح ، وسماها إيماناً لكونها في محل الإيمان ، وهذا الذي قواه القرطبي وأيده في التذكرة .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفح فيدخلون الجنة فنسبهم أهل الجنة الجهنميين ، أخرجه البخاري . وعن

عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال « ليخرجن قوماً من أمتي بشفاعتي يسمون الجهنميين » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، أخرجه البخاري وأبو داود أيضاً .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . زاد الطيالسي قال : قال لي جابر . من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة وذكر أبو داود والدارقطني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال . نعم أنا بشرار أمتي ، قالوا فكيف أنت بخيارهم ؟ قال أما خيارهم فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي (٨٠) .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ خبرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى آترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين ، رواه ابن ماجه ، وفي الباب أحاديث بألفاظ وطرق .

وعنده من حديث عوف بن مالك الأشجعي نحوه وفي آخره . قلنا يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها ، قال هي لكل مسلم .

قال القرطبي : شفاعت رسول الله ﷺ والملائكة والنبين والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد التصديق ، ومن لم يكن معه من الإيمان خير من الدين يتفضل الله عليهم فيخرجوهم من النار فضلاً وكرماً وعداً منه حقاً ، وكلمته صدقاً (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فسبحان العرف بعبدته الوفي بعهدته . انتهى .

* * *

(٨٠) أحاديث الشفاعة : أكثرها آحاد . وأحاديث الآحاد لا تثبت لها العقائد (انظر تفسير فخر الدين الرازي في البقرذ في الآية « بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته . . . إلخ »)

(باب)

في الشافعين لمن دخل النار وما جاء أن النبي (ﷺ) يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ، أخرجه ابن ماجه وعن ابن مسعود قال : يشفع نبيكم رابع أربعة : جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم (ﷺ) ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال (لهم ما سلككم في سقر) إلى قوله (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) .

قال ابن مسعود : فهؤلاء هم الذين يبقون في جهنم . أخرجه ابن السكك أبو عمرو عثمان بن أحمد وقيل إن هذا هو المقام المحمود لنبينا (ﷺ) كما أخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله أي ابن مسعود ولفظه قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ، ثم يقوم إبراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام ، ثم يقوم نبيكم رابعاً فيشفع لا يشفع لأحد من بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذي قاله الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) .

وعن عبد الله بن أبي الجعدا أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من بني تميم ، قيل يا رسول الله سواك ؟ قال سواي ، قلت أنت سمعته من رسول الله ؟ قال أنا سمعته . أخرجه ابن ماجه والترمذي . وقال حديث حسن صحيح غريب ، ولا يعرف لابن الجعدا غير هذا الحديث الواحد ، وخرجه البيهقي في دلائل النبوة .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله (ﷺ) يدخل بشفاعة رجل من أمي الجنة مثل أحد الحين ربيعة ومضر . قال قيل يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟

قال إنما أقول ما أقول ، قال فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان . أخرجه ابن السماك .

وعن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : إن من أمتي من يشفع للقتام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة . أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وعن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة . قال القاضي عياض في الشفاء عن كعب : إن لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعة .

قال القرطبي : إن قال قائل كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول (إنك من تدخل النار فقد أجزيت) وقال (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن يرضاه الله لا يجزيه أبداً . قال الله تعالى : (يوم لا يجزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) الآية .

قلنا هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة ، ثم أجاب عن الآيات بأنها خاصة جاءت في قوم لا يخرجون من النار .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في الإحياء : إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى يفضلهم يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصاً على أن

تكتسب لنفسك عندهم رتبة للشفاعة ، وذلك بأن لا تستصغر معصية أصلاً ،
فإن الله تعالى خبياً غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه .

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة انتهى .

ثم ذكر آيات وأخبار ، منها حديث اختلاف الناس إلى آدم ونوح
وإبراهيم وموسى وعيسى ثم إلى محمد ﷺ ، قال فهذه شفاعة رسول الله
ﷺ ولأحاديثه من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً .

قلت ولكن هذه الشفاعة تكون بإذن من الله سبحانه ، كما نطق به
الكتاب العزيز في مواضع ورسول الله ﷺ أول شافع وأول مشفع يوم
القيامة ، اللهم ارزقنا شفاعة يوم القيامة قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده
إلا بإذنه) وقال تعالى (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) وقال تعالى (ولا يشفعون
إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة
إلا لمن أذن له) .

وقال في المواهب اللدنية : وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى رسول
الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار فهو غرور الشيطان لهم ولعبة بهم ، فإنه
يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها
من الكفار والعصاة ثم يحذر لرسول الله ﷺ حذراً يشفع فيهم ، ورسول الله
أعرف به وبحقه من أن يقول لأرضى أن يدخل أحداً من أمتي النار ويدعه
فيها بل ربه تبارك وتعالى يأذن له في الشفاعة فيمن شاء الله أن يشفع فيه ،
ولا يشفع في غير من أذن له ويرضيه .

وقال الخازن تحت الآية الأولى : هذا استفهام إنكار ، والمعنى لا يشفع
عنه أحد إلا بأمره وإرادته ، وذلك إن المشركين زعموا أن الأصنام يشفعون
لهم ، فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله (إلا بإذنه) يريد

بذلك شفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض اهـ .

وفي الكبير : لا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله تعالى ، فيكون الشفيع في الحقيقة الذي يأذن الله له في تلك الشفاعة .

وقال في الخازن أيضاً : قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) أى لا يشفع أحد إلا بإذنه . وفي الحديث : « فاستأذن على ربي فيأذن لي » وقال الشيخ زين الدين بن علي المقرئ في مرشد الطلاب .

اعلم أنه ﷺ لا يشفع لجميع عباد الله ، بلى يشفع لمن أذن الله في شفاعته ، اهـ .

وفي تفسير الحدادي : لا يشفع أحد لأحد عند الله إلا بأمره ورضاه ، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء كما يشفع الأنبياء للمؤمنين . اهـ .

وفي الباب أخبار وآثار كثيرة ، وأقوال لأهل العلم غزيرة لا يتسع هذا المقام لبسطها .

خاتمة

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)
وقال تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى (ومن يعمل
سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) وقال تعالى (وإن
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وقال تعالى (ولسوف يعطيك ربك
فترضى) وقال تعالى (أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة
بإذنه) .

وقال تعالى (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة
منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وقال تعالى (وربك الغنى ذو الرحمة)
وقال (عذابي أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) وقال تعالى (هو أرحم
الراحمين) وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم .

وقال تعالى (ولا تئسوا من روح الله إنه لا يئس من روح الله إلا القوم
الكافرون) وقال تعالى (نبيء عبادى أتى أنا الغفور الرحيم) وقال تعالى
(وربك الغفور ذو الرحمة) وقال تعالى عن حملة العرش أنهم يقولون (ربنا
وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
الجهنم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومن تق

السبب أن يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم (وقال تعالى (ويعف عن كثير) وقال تعالى (إن ربك واسع المغفرة) وقال تعالى (ويعفو عن كثير) وهذه غير الأولى .

ومن أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم وهما مشتقتان من الرحمة على طريق المبالغة والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، وفي كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ، ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، وقد تقرر أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى .

قال القرطبي وصف نفسه الكريمة بهما لأنه لما كان باتصاف رب العالمين ترهيب قربه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون طاعته وأمنع ، وقيل فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسمة أو العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور ، وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المفضل لها على خلقه . ذكره الشوكاني (رحمه الله) في تفسيره فتح القدير .

قال البيهقي في الأسماء والصفات قال الحلبي في معنى الرحمن إنه المزيج للعلل وفي معنى الرحيم إنه المثير على العمل ، فلا يضيع لعامل عملاً ولا يهدر لساع سعيًا وينيله بفضل رحمته من الثواب أضعاف عمله .

وقال الخطابي ذهب بعضهم إلى أن الرحمن غير مشتق من الرحمة لأنه لو كان مشتقاً منها لا تصل بذكر المرحوم ولا تنكره العرب حين سمعوه وزعم بعضهم أنه اسم عبراني ؛ وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتق من الرحمة ينبئ عن المبالغة ومعناه ذو الرحمة لانظير له فيها ولذلك لا يثنى ولا يجمع فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح .

وأما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله وكان بالمؤمنين رحيمًا والرحيم بمعنى راحم وبناءً فعيل للمبالغة ، وقال ابن عباس الرحمن هو الرفيق والرحيم هو العاطف على خلقه بالرزق وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر وقال عبد الرحمن بن يحيى الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل والرحيم عام في التسمية خاص في الفعل .

قال ابن عباس في قوله تعالى (الرحمن علم القرآن) وقال (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) وقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) وقال في فواتح السور غير التوبة بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال في فاتحة الآيات الرحمن الرحيم وقال (تنزيل من الرحمن الرحيم) وبالجملة فالرحمة صفة عظيمة عامة من صفات الرحمن الرحيم يظهر أثرها على وجه الكمال إن شاء الله تعالى يوم الدين ونعم الصالحين والطالحين من المؤمنين حين يغفر الله سبحانه وتعالى ذنوب المذنبين ويعفو الخطايا والجرائم للخطائين .

ومن نعم الله سبحانه على عباده أن وصف نفسه الكريم بالرحمة العامة والمغفرة الشاملة ووصف رسوله محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وشفيع المذنبين بقوله في كتابه الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فوعدت أمته المرحومة بين رحيمين كريمين والرحيم إذا قدر رحم والكريم إذا غلب غفر ، فالرحمة والمغفرة للعصاة من الموحدين المتبعين للسنة والكتاب والمقرين على أنفسهم بالقصور عن بلوغ ذروة كمال الامتثال بإتيان صوالح الأعمال ثابتان بأدلة القرآن ونصوص السنة لاسيما أنه سبحانه يتوب على التائبين ويغفر للمستغفرين ، ويفرح بتوبة عباده المؤمنين ويجزي المحسنين ، ويجب المتطهرين التوابين وقد سبقت رحمته على غضبه ورضاه على منقطه وعفوه على انتقامه وهو أحق بذلك وأولى وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة صحيحة لا يتسع المقام لبسطها لما أنه يستدعي مؤلفاً مستقلاً ولكن

مالا يدرك كله لا يترك كله فلنذكر من ذلك شيئاً ندرأ رجاء العفو والغفران من الرحيم الرحمن فإنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي ، أخرجه الشيخان والترمذى وعند البخارى رحمه الله في رواية أخرى أن رحمتي غلبت غضبي ، وعند الشيخين في أخرى ، سبقت غضبي وعنه قال : قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعون وأنزل الله في الأرض جزءاً واحداً . فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » أخرجه الشيخان والترمذى .

وعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يترحم بها الخلق بينهم وتسع وتسعون ليوم القيامة ، أخرجه مسلم وله في أخرى أن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الولدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة .

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى وفي بعض طرق أبي هريرة فإذا كان يوم القيامة رد هذه على تلك التسعة والتسعين فأكلها مائة رحمة فزحم بها عباده يوم القيامة .

وفي رواية أخرى فإذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة إلى التسعة والتسعين فكلن مائة رحمة حتى إن إبليس ليتناول إليها رجاء أن ينال منها شيئاً .

وقال ابن مسعود ولن تزال الرحمة بالناس حتى إن إبليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله وشفاعة الشافعين . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يقدم على رسول الله ﷺ سبي فإذا امرأة بمن السبي تسعى قد

تحلب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال
 ﷺ آتون هذه المرأة طارحة ولدها في النار! قلنا لا والله وهي تقدر على أن
 لا تطرحه ، قال فإله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها ، أخرج الشيخان .

وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ لا يرحم الله من لا يرحم
 الناس متفق عليه عن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق
 ﷺ يقول : لا تنزع الرحمة إلا من شقى . رواه أحمد والترمذى .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ الراحون يرحمهم
 الرحمن ، ارحوا من في الأرض يرحمكم من في السماء رواه أبو داود والترمذى .

قال الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى
 وأدخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم ، وقال ﷺ ينادى مناد من تحت
 العرش يا أمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها
 فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتي .

ويروى أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ (وكنتم على شفا حفرة من النار
 فأنقذكم منها) فقال الأعرابي أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ؟ فقال ابن
 عباس خذوها من غير فقيه ، وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت
 وهو في الموت فبكيت فقال مهلاً لم تبك فوالله ما من حديث سمعته من رسول
 الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم
 وقد أحيط بنفسى :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله حرم الله عليه النار أو حرمه الله على النار . أخرج مسلم ،
 والأخبار بهذا المعنى كثيرة خرجها البخارى ومسلم وغيرهما من الأئمة .

وقال الأصمعى : كان رجل يحدث بأحوال يوم القيامة وأعرابي جالس

يسمع ، فقال يا هذا من يلي هذا من العباد ، قال الله تعالى ، فقال الأعرابي إن الكريم إذا قد غفر . وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات بشرك به دخل النار رواه مسلم .

وعن عتبان بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله . أخرجه الشيخان ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده لولم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم . رواه مسلم .

وعن أبي أيوب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لولا أنكم تذبون لخلق الله خلقاً يذنبون يغفر لهم . أخرجه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه . رواه مسلم .

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفر الله لهم . ورواه مسلم .

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه ، فيقول أتعرف ذنب كذا . أتعرف ذنب كذا ، فيقول رب أعرف ، قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته . أخرجه الشيخان .

وعن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يدكرني ، والله لله أفرح بتوبة عبده — من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلى يمشي أقبلت إليه أهول » متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل . رواه مسلم .

وعن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي لأنتك بقرابها مغفرة . رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) قال فقال الله تعالى : أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله آخر ، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً آخر فأنا أهل أن أغفر له . أخرجه ابن ماجه وخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه وقال هذا حديث حسن غريب وروى عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها .

وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبي أمامة بالشام ، فدخلت يوماً على فتي مريض من جيران أبي أمامة رضي الله عنه وعنده عم له وهو يقول : يا عدو الله ألم أمرك ألم أنك ، فقال الفتى ياعمه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي كيف كانت صانعة بي ؛ قال تدخلك الجنة ، قال الله أرحم بي من والدتي ، وقبض الفتى ، فدخلت القبر مع عمه ، فلما آن سواه صاح وفرع فقلت له مالك ، فقال فسح له في قبره وملء نوراً .

وقال هلال بن سعيد : يؤمر بإخراج رجلين من النار ، فيقول الله تعالى كيف وجدتما مقيلكما ؟ فيقولان شر مقيل ، فيقول الله تعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد . ويؤمر بصرفهما إلى النار ، فيعدو أحدهما في سلسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما ، فيقول الذى عدا قد خبرت من وبال المعصية ما لم أكن لأنعرض لسخطك ثانياً : ويقول الذى تلكأ حسن ظنى بك أنت لا تردنى إليها بعد ما أخرجتنى منها ، فيأمر بهما إلى الجنة .

قال القرطبي : هذا الخبر رفعه الترمذى أبو عيسى بمعناه .

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب تبارك وتعالى أخرجوهما فلما أخرجوا قال لهما لئى شيء اشتد صياحكما ؟ قالا فعلنا ذلك لترحمنا ، قال إن رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا نفسكما حيث كنتما من النار ، فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه برداً وسلاماً ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه ، فيقول الله تبارك وتعالى : مامنك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول رب إنى أرجو أن لاتعبدنى بعدما أخرجتنى منها ، فيقول الله تبارك وتعالى : لك رجاؤك ، فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله تعالى .

قال أبو عيسى إسناد هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين ضعيف عن ابن أنعم وهو الأفریقی والأفریقی ضعيف عند أهل الحديث .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن إسحاق بن سويد قال : صحبت مسلم بن يسار عاماً إلى مكة فلم أسمعهم يكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق ، قال ثم حدثنا قال بلغنى أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة ويوقف بين يدى الله تعالى فيقول : انظروا فى حسناته فلا يوجد له حسنة ، فيقول انظروا فى سيئاته فيوجد له

سينتات كثيرة فيذهب به إلى النار وهو يلتفت ، فيقول —أى الرب تعالى—
ردوه إلى لم تلتفت ؟ فيقول أى رب لم يكن هذا ظنى أو رجائى فيك ، شك
إبراهيم ، فيقول صدقت فيؤمر به إلى الجنة .

قال القرطبي : هذا الحديث رفعه ابن المبارك فقال : أخبرنا رشدين
ابن سعد قال حدثني أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن مالك الجهني أن فضالة
ابن عبيد وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما حدثاه أن رسول الله ﷺ قال
إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق يؤتى برجلين فيؤمر بهما إلى
النار : فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك اسمه وتعالى جده : ردوه فردوه ،
فيقال له : لم التفت ؟ فيقول كنت أرجو أن تدخل الجنة فيؤمر به إلى الجنة
قال فيقول لقد أعطاني ربي حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي
شيئاً . قال أى فضالة وعبادة ، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور
في وجهه .

قال القرطبي : وفي هذا المعنى خبر الرجل الذي يرفع له شجرة بعد
أخرى يخرج من النار إلى أن يدخل الجنة ، أخرجه مسلم في الصحيح . انتهى .
وقد تقدم فيما سبق .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن
شتم أتباتكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وأول ما يقولون .
قالوا نعم يارسول الله ، قال إن الله يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى ؟
فيقولون نعم ياربنا ، قال وما حملكم على ذلك ؟ فيقولون رحمتك أى رب
ورضوانك وعفوك ، فيقول فينى قد أوجبت لكم رحمتى .

وعن زيد بن أسلم أن رجلا كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد
على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات ، فقال : أى رب مالى عندك ،

قال : النار ، قال يارب فأين عبادتي واجتهادى ، فقيل له إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أفنطك اليوم من رحمتي .

وقال مقاتل : قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : الفقيه من لم يؤيس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ذكر ذلك كله القرطبي في التذكرة له وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر .

ثم يقول : أنتكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر؟ فيقول لا يارب ، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول أحضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول إنك لا تظلم ، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء رواه الترمذى وابن ماجه .

كذا في مشكاة المصابيح ، والسجل الكتاب الكبير ، والبطاقة على وزن الكتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب يكتب فيها وزن ما يجعل هي فيه إن كان عيناً فوزنه أو عدده وإن كان متاعاً فثمنه ، قيل سميت به لأنها تشد بطاقة هذب الثوب . كذا في القاموس . قال الطيبي فيكون حينئذ الباء زائدة . اهـ .

قال في اللغات : وكأنه أبقيت الباء الجارة التي هي صلة الفعل ، وهي لغة أهل مصر وليس مادته بطق انتهى ، وهذا الحديث يسمى حديث البطاقة .

وما أحسن ما قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الباني أطاب الله ثراه وجعل الجنة مثواه .

مهما تفكرت في ذنوبي خفت على قلبي احترابه
لكنه ينطفي لهيبي بذكر ما جاء في البطاقه

ولشيخنا وبركتنا القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله كتاب سماه
«الدرر الفاخرة الشاملة على سعادة الدنيا والآخرة» وهو كتاب نافع جداً
ينبغي لأهل العلم والدين الاشتغال به ليسعدوا بكل سعادة ويتجافوا عن كل
موجب للشقاوة .

هذا ونحن نستغفر الله تعالى من كل ذنب زلت به القدم أو طغى به القلم
في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ،
ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ، ومن
كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصية ومن كل تصريح وتعريض
بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ، ومن كل خطرة دعوتنا إلى
تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو علم أفدناه أو استفدناه .

ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا أن نكرم بالمغفرة والرحمة
والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً أو باطناً أولاً وآخرأ فلإن الكرم عظيم والرحمة
واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ، ونحن من خلق الله عز الله
ولا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه .

وقد قال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة
فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته يوم
القيامة فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ومن زادت سيئاته على حسناته يوم
القيامة فذلك الذي لا يدخل الجنة ، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق
نفسه وأثقل ظهره بعدما يأذن الله سبحانه وتعالى له في حق من شاء .

ونرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويفضل علينا بما هو أهله
بمنه وسعة جوده ورحمته إنه قريب مجيب الدعوات .

وقد قال تعالى : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) . وقال تعالى : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا) الآية والآيات في الباب كثيرة معلومة .

عن وائلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال : قال الله تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء . أخرجه الدارمي .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ قاربوا وسددوا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجح عمله ، قالوا يا رسول الله ولا أنت ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل . رواه الدراري . وعنده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كرهه لقاء الله كرهه الله لقاءه . الحديث رواه الدارمي . وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار . رواه مسلم .

وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة . أخرجه مسلم .

اللهم إنك تعلم أني أعلم أنه لا إله إلا الله وأني أشهد أن محمداً رسولك . وأن الجنة حق وأن النار حق ، وقد قال رسولك في حديث عبادة بن الصامت من شهد بذلك أدخله الله الجنة على ما كان من العمل .

. هذا الحديث متفق عليه ، وإنى أستغفرك وأتوب إليك وأرجو رحمتك .
التي سبقت على غضبك ، فتب على ياتوب واغفر لي ياغافر الذنب ، وأجرني
من النار واختم لي بالحسنى وزيادة وارحمي رحمة في عبادك الصالحين ، فإنك
كما قلت في مواضع من كتابك أرحم الراحمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين •

• (تم والحمد لله) •